ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

أطايب الثمر

جمع

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

دعاء ورجاء

يا من إليه بجـــوده اتوســـل   وعليه فـي كل الامورِ اعـــولَ
أدعوك ربِّ تضرعًا وتـــذللاً   فإذا رددت يدي فمن ذا أسألُ
قد قادني أملي إليك ودلّنـــي   جودٌ عليـــك وفاقـــةٌ وتـــذللُ
وعلمت أنك لا تخيـــب أمـــلاً   أضحى لجودك يا كريمُ يُؤمَّـــلُ
فبنور وجهك كن لذنبي غافرًا   فعليك فـــي غفرانـــه أتوكـــلُ

لولا ثلاث :

قال أمير المؤمنين عمر بين الخطاب ﷺ لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله : لولا أن أسير في سبيل الله عز وجل . ولولا أن أضع جبهتي لله أو أجالس أقواماً ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمر ⁕.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

مواقف سطرها التاريخ

كان هناك مجموعة من العلماء يحقدون على الإمام الشافعي ويدبرون له المكائد عند الأمراء .. فاجتمعوا وقرروا أن يجمعوا له العديد من المسائل الفقهية المعقدة لاختبار ذكائه .. فاجتمعوا ذات مرة عند الخليفة الرشيد الذي كان معجبًا بذكاء الشافعي وعلمه بالأمور الفقهية وبدأوا بإلقاء الأسئلة والفتاوى في حضور الرشيد

فسأل الأول : ما قولك في رجل ذبح شاة في منزله ثم خرج في حاجة فعاد وقال لأهله : كلوا أنتم الشاة فقد حرمت علي .. فقال أهله : علينا كذلك

فكر قليلاً فأجاب الشافعي : إن هذا الرجل كان مشركاً فذبح الشاة على اسم الأنصاب وخرج من منزله لبعض المهمات فهداه الله إلى الإسلام وأسلم فحرمت عليه الشاة وعندما علم أهله أسلموا هم أيضاً فحرمت عليهم الشاة كذلك.

وسُئل : شرب مسلمان عاقلان الخمر .. فلماذا يُقام الحد على أحدهما ولا يُقام على الآخر ؟

فكر قليلاً : فأجاب إن أحدَهما كان صبياً والآخرُ بالغاً.

وسُئل : زنا خمسة أفراد بامرأة .. فوجب على أولِهم القتل .. وثانيهم الرجم .. وثالثِهم الحد .. ورابعِهم نصفُ الحدِّ .. وآخرهم لا شيء ؟

فكر قليلاً فأجاب : استحل الأولُ الزنا فصار مرتدًا فوجب عليه القتل .. والثاني كان محصناً .. والثالثُ غيرَ محصنٍ .. والرابعُ كان عبداً .. والخامسُ مجنوناً.

وسُئل : رجل صلى ولما سلم عن يمينه طلقت زوجته !! ..ولما سلم عن يساره بطلت صلاته !! .. ولما نظر إلى السماء وجب عليه دفع ألف درهم ؟

فكر قليلاً ثم قال الشافعي : لما سلم عن يمينه رأى زوج امرأته التي تزوجها في غيابه فلما رآه قد حضر طلقت منه زوجته .. ولما سلم عن يساره رأى في ثوبه نجاسة فبطلت صلاته .. فلما نظر إلى السماء رأى الهلال وقد ظهر في السماء وكان عليه دين ألف درهم يستحق سداده في أول الشهر.

وسُئل : ما تقول في إمام كان يصلي مع أربعة نفر في مسجد فدخل عليهم رجل .. ولما سلم الإمام وجب على الإمام القتل وعلى المصلين الأربعة الجلد ووجب هدم المسجد على أساسه ؟

فكر قليلاً فأجاب الشافعي : إن الرجل القادم كانت له زوجة وسافر وتركها في بيت أخيه فقتل الإمام هذا الأخ وأدعى أن المرأة زوجة المقتول فتزوج منها .. وشهد على ذلك الأربعة المصلون .. وأن المسجد كان بيتًا للمقتول .. فجعله الإمام مسجدًا !.

وسُئل : ما تقول في رجل أخذ قدح ماء ليشرب .. فشرب حلالاً وحرم عليه بقية ما في القدح ؟

فكر قليلاً فأجاب : إن الرجل شرب نصف القدح فرعف (أي نزف) في الماء المتبقي .. فاختلط الماء بالدم فحرم عليه ما في القدح !.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وسُئل : كان رجلان فوق سطح منزل .. فسقط أحدُهما فمات فحرمت على الآخر زوجته ؟

فكر قليلاً فأجاب : إن الرجل الذي سقط فمات كان مزوجاً ابنته من عبده الذي كان معه فوق السطح .. فلما مات أصبحت البنت تملك ذلك العبدَ الذي هو زوجها فحرمت عليه.

إلى هنا لم يستطع الرشيدُ الذي كان حاضرًا تلك المساجلة أن يخفي إعجابه بذكاء الشافعي وسرعة خاطرته وجودة فهمه وحس إدراكه .. وقال: لقد بينت فأحسنت وعبرت فأفصحت وفسرت فأبلغت

فقال الشافعي : أطال الله عمر أمير المؤمنين إني سائل هؤلاء العلماء مسألة فإن أجابوا عليها فالحمد لله وإلا فأرجو أمير المؤمنين أن يكف عني شرهم فقال الرشيد لك ذلك وسلهم ما تريد يا شافعي .. فقال الشافعي : مات رجلٌ وترك ٦٠٠ درهم .. فلم تنل أخته من هذه التركة إلا درهمًا واحدًا .. فكيف كان الظرف في توزيع التركة ؟؟

فنظر العلماء بعضُهم إلى بعض طويلاً ولم يستطع أحدهم الإجابة على السؤال

فلما طال بهم السكوت طلب الرشيد من الشافعي الإجابة

فقال الشافعي : مات هذا الرجل عن ابنتين وأم و زوجة واثني عشر أخاً وأختٍ واحدةٍ .. فأخذت البنتان الثلثين وهما ٤٠٠ درهم .. وأخذت الأم السدسَ وهو ١٠٠ درهم .. وأخذت الزوجة الثمنَ وهو ٧٥ درهم .. وأخذ الإثناعشر أخاً ٢٤ درهمًا فبقي درهم واحد للأخت

فتبسم الرشيدُ وقال:

أكثر الله في أهلي منك .. وأمر له بألفي درهم فتسلمها الشافعي ووزعها على خدم القصر.

إلهي ليس لي إلاكَ عَونا

إلهي ليس لي إلاكَ عَونا ... فكن عَوني على هذا الزمان

إلهي ليس لي إلاكَ ذُخرا ... فكن ذُخري إذا خَلَت اليدان

إلهي ليس لي إلاكَ حِصنا ... فكن حِصني إذا رامٍ رَماني

إلهي ليس لي إلاكَ جاها ... فكن جاهي إذا هاجٍ هجاني

إلهي أنت تعلم ما بنفسي ... و تعلم ما يجيش به جَناني

فهب لي يا رحيم رضا و عفوا ... إذا ما زَلَّ قلبي أو لساني

إلهي ليس لي إلاكَ عِزاً ... فكن عِزّي و كن حصن الأمان

لنعم الحول هذا

كان سيدنا عمر رضي الله عنه مع عدله ورحمته يخشى أن يموت وهو مقصر في حق رعيته، وكم كان يتمنى أن يذهب إلى الناس في الولايات الثمانية ليدرس مشكلاتهم، ويحقق رغباتهم، وقد ورد عنه أنه قال في آخر حياته:

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا (عامًا) فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني (لا أطلع عليها).

أما عمالهم (ولاتهم) فلا يرفعونها إلي، وأما هم فلا يصلون إلي، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، والجزيرة شهرين، وبمصر شهرين، وبالبحرين شهرين، وبالكوفة شهرين وبالبصرة شهرين. والله لنعم الحول هذا.

أذن يا بلال

أذن يا بلال فإن الفجر قد جانا ... وأيقظ الناس نوماناً وسكرانا
إذن يا بلال أذان الحق يغمرنا ... وأسمع الكون تكبيراً وقرآنا
أذن ببدر بكثرتهم وقلتنا ... بضراعة المصطفى ثقة وإيمانا
وبصبر من هاجروا في الله أو بذلوا ... النفس والمال والآهلين قربانا
يوم أراد أبو جهل وعصبته ... أن يشرب الخمر والألحان نشوانا
هم قد أرادوه فصلا من مهازلهم ... وأراده الله إعزازا وفرقانا

دون أن أضرب رأسك بالسيف

يقول ابن أبي الحديد في الرواية المرسلة عن المدائني: أن معاوية قال لعقيل هل لك من حاجة فأقضيها لك، قال نعم جارية عرضت عليَّ وأبى أصحابها أن يبيعوها إلاّ بأربعين ألفاً، فأحبّ معاوية أن يمازحه فقال: ما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً وأنت أعمى تجتزي بجارية قيمتها خمسون درهماً، قال: أرجو أن أطأها فتلد لي غلاماً إذا أغضبته يضرب عنقك بالسيف، فضحك معاوية وقال: ما زحناك يا أبا يزيد، وأمر فابتيعت له الجارية التي أولد منها مسلماً.

فلمّا أتت على مسلم ثمان عشرة سنة وقد مات عقيل أبوه قال لمعاوية يا أمير المؤمنين إن لي أرضاً بمكان كذا من المدينة وإنّي أُعطيت بها مائة ألف وقد أحببت أن أبيعك إياها فادفع لي الثمن، فأمر معاوية بقبض الأرض ودفع الثمن إليه.

فبلغ ذلك الحسين فكتب إلى معاوية: أمّا بعد، فإنّك غررت غلاماً من بني هاشم فابتعت منه أرضاً لا يملكها فاقبض من الغلام ما دفعته إليه وأردد إلينا أرضنا.

فبعث معاوية على مسلم فأخبره بذلك وأقرأه كتاب الحسين وقال: أردد علينا مالنا وخذ أرضك فإنّك بعت ما لا تملك، فقال مسلم: أما دون أن أضرب رأسك بالسيف فلا، فاستلقى معاوية ضاحكاً يضرب برجليه وقال: يا بني هذا والله كلام قاله لي أبوك حين ابتعت له أمّك.

ثم كتب إلى الحسين إنّي قد رددت عليكم الأرض وسوّغت مسلماً ما أخذ، فقال الحسين: أبيتم يا آل أبي سفيان إلا كرماً.

سأحمل روحي

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

سـأحمل روحـي علـى راحتـي ... وألقي بهـا فـي مهـب الـردى
فإمـا حيـاة تـسر الـصديـق ... وإمـا ممـات يغـيظ العـدى
ونفـس الـشريف لهـا غايتـان ... ورود المنايـا ونيـل المنـى

من بني سبأ

ما زال فينا ألوف من بنـي سـبأ ... يؤذون أهل التقى بغيـاً وعـدوانا
ما زال لابـن سـلول شـيعة كثـروا ... أضحى النفاق لهـم وسـماً وعنوانـا
لكن أخي لا تبتـئس فـالكون يملكـه ... رب إذا قـال كـن فـي أمـره كانـا

أنحس مركـوب

اشترى رجل دابة من دميرة، فوجد بها عيوباً كثيرة، فحضر إلى القاضي يشكو البائع فقال: أيها القاضي، إني بحكمك راض. اشتريت من هذا الغريم دابة، ادعى فيها الصحة والسلامة، فوجدت بها عيوباً، أعقبتني ندامة. فقال القاضي ما عيوبها؟ فقال: كلها عيوب وذنوب، وهي أنحس مركوب، إن ركبتها رفست، وإن سقتها رقدت، وإن نزلت عنها شردت، حدباء جرباء. لا تقوم حتى تحمل على الخشب. ولا تنام حتى تكبل بالسلب. إن قربت من الجرار كسرتها. وإن دنت من الصغار رفستهم، وإن دار حولـَها أهل الدار كدمتهم. تمشي في سنة أقل من مسافة يوم، الويل لراكبها إن وثب عليه القوم. متى حملتها لا تنهض، تقرض حبلها، وتجفل من ظلها، ولا تعرف منزل أهلها. حرونة ملعونة مجنونة. تقلع الوتد، وتمرض الجسد، وتفتت الكبد، ولا تركن إلى أحد. واقعة الصدر، محلولة الظهر، عمشاء العينين. قصيرة الرجلين. مقلـَّعة الأضراس. كثيرة النعاس. مشيها قليل، وجسمها نحيل، وراكبها بين الأعزاء ذليل، تجفل من الهوى، وتعثر بالنوى، تحشر صاحبها في كل ضيق. وتنقطع به في الطريق، وتعض ركبة الرفيق. فإن قبلها فأكرم جانبه ولا تحوجني أن أضاربه. فضحك القاضي وحكم بردّها.

ـ قصة أبي نواس مع شاعر الأندلس

كان عباس بن ناصح، الشاعر الأندلسي، لا يَقْدم من المشرق قادمٌ إلا سأله عمَّن نَجَمَ هناك في الشعر، حتى أتاه رجل من التجار فأعلمه بظهور أبي نواس، وأنشده من شعره قصيدتين؛ إحداهما قوله: جَرَيْتُ مع الصِّبا طَلَـقَ الجُمُوحِ والثانية: أما ترى الشمس حَلـَّت الحَمَلا فقال عباس: هذا أشعرُ الجن والإنس. واللّه لا حبسني عنه حابس. فتجهَّز إلى المشرق. فلما حلَّ بغداد نزل منزلة المسافرين، ثم سأل عن منزل أبي نواس، فأُرشـِد إليه، فإذا بقصر على بابه الخـُدَّام. فدخل مع الداخلين، ووجد أبا نواس جالسًا في مقعد نبيل، وحولَه أكثرُ متأدّبي بغداد، يجري بينهم التمثل والكلام في المعاني. فسلّم عباس وجلس حيث انتهى به المجلس، وهو في هيئة السفر. فلما كاد

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

المجلس ينقضي، قال له أبو نواس: مَن الرجل؟ قال: باغي أدب. قال: أهلاً وسهلاً. من أين تكون؟ قال: من المغرب الأقصى. وانتسب له إلى قرطبة. فقال له: أتَرْوي من شعر أبي المخشيّ شيئًا؟ قال: نعم. قال: فانشِدني. فأنشده شعره في العمى. فقال أبو نواس: هذا الذي طَلَبَتْه الشعراء فَأَضَلَّتْه. أنشــدني لأبي الأجرب. فأنشده. ثم قال: أنشدني لبكْر الكنانيّ. فأنشده. ثم قال أبو نواس: شاعر البلد اليوم عباسُ بن ناصح؟ قال عباس: نعم. قال: فأنشِدني له. فأنشده: فَأَدْتُ القَريض ومَنْ ذا فَأَدْ فقال أبو نواس: أنت عباس؟ قال: نعم! فنهض أبو نواس إليه فاعتنقه إلى نفسه، وانحرف له عن مجلسه. فقال له مَن حضَر المجلس: من أين عرفَته أصلحك اللّه؟ قال أبو نواس: إني تأمّلته عند إنشاده لغيره، فرأيته لا يُبالي ما حدث في الشعر من استحسان أو استقباح. فلما أنشدني لنفسه استَبَنْتُ عليه وَجْمَةً، فقلت: إنه صاحبُ الشِّعر! من كتاب "طبقات النحويين واللغويين" للزُّبيدي الأندلسي.

نزلت شطك

نزلت شطك بعد البين ولهانا ... فذقت فيك من التبريح ألوانا
وسرت فيك غريبا ضل سامره ... وشوقا وأحبابا وإخوانا
فلا اللسان لسان العرب نعرفه ... ولا الزمان كما كنا وما كانا
ولا الخمائل تشجينا بلابلها ... ولا النخيل سقاه الطل يلقانا
ولا المساجد يسعى في مآذنها ... مع العشيات صوت الله ريانا

أحْسَنْتِ!

دخل رجل على ابن شبرمة القاضي ليشهد في قضية. فقال له ابن شبرمة: لا أقبل شهادتك. قال: ولِمَ؟ قال: بلغني أن جاريةً غَنّت في مجلسٍ كنتَ فيه، فقلتَ لها: أحسنتِ! قال الرجل: قلتُ لها ذلك حين ابتدأت أو حين سكتت؟ قال: حين سكتت. قال: إنما استحسنتُ سكوتَها أيها القاضي. فَقبِلَ شهادته. من كتاب "الكشكول" لبهاء الدين العاملي.

ـ أعيته الحيلة

يعتبر أبو جعفر المنصور، رجل بني العباس، والمؤسس الثاني لدولتهم، بعد أن انتقلت إليهم الخلافة من بني أمية، وكان إذا دخل البصرة أيام الأمويين، دخل متنكراً متكتماً، وكان يجلس في حلقة أزهر السمان العالم الثبت المتحدث؛ فلما أفضت الخلافة إليه، قدم عليه أزهر فرحب به وقربه وقال: ما حاجتك يا أزهر؟ فقال: يا أمير المؤمنين، داري متهدمة، وعليّ أربعة آلاف درهم، وأريد أن أزوج ابني محمداً، فوصله باثني عشر ألف درهم، وقال له: قد قضينا حاجتك يا أزهر، فلا تأتنا بعد اليوم طالباً، فأخذها وارتحل. فلما كان بعد سنة أتاه، فقال له أبو جعفر: ما حاجتك يا أزهر؟ فقال: جئت مسلماً، فقال: لا والله بل جئت طالباً، وقد أمرنا لك باثني عشر ألفاً، فاذهب ولا تأتنا بعد اليوم طالباً ولا مسلماً. فأخذها ومضى؛ فلما كان بعد سنة أتاه، فقال له: ما حاجتك يا أزهر فقال: أتيت

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

عائداً. فقال: لا والله بل جئت طالباً، وقد أمرنا لك باثني عشر ألفاً، فاذهب ولا تأتنا بعد اليوم طالباً ولا مسلماً ولا عائداً، فأخذها، وانصرف. فلما مضت السنة أقبل، فقال له: ما حاجتك يا أزهر؟ فقال: يا أمير المؤمنين، دعاء كنت سمعتك تدعو به جئت لأكتبه. فضحك أبو جعفر وقال: الدعاء الذي تطلبه مني غير مستجاب، فإني دعوت الله به ألا أراك، فلم يستجب لي. وقد أمرنا لك باثني عشر ألفاً، وتعال إذا شئت، فقد أعيتنا الحيلة فيك.

ـ أبو حنيفة وتلميذه أبو يوسف

مرض أبو يوسف مرضًا شديدًا، فعاده أستاذه أبو حنيفة مرارًا. فلما صار إليه آخر مرة، رآه ثقيلاً، فاسترجع، ثم قال: لقد كنتُ أُؤَمّله بعدي للمسلمين، ولئن أُصيبَ الناسُ به ليموتَنّ علمٌ كثير. ثم رُزق أبو يوسف العافية، وخرج من العِلَّة. فلما أُخبِر بقول أبي حنيفة فيه، ارتفعت نفسُه، وانصرفت وجوه الناس إليه، فعقد لنفسه مجلسـًا في الفقه، وقصـَّر عن لُزوم مجلس أبي حنيفة. وسأل أبو حنيفة عنه فأُخبر أنه عقد لنفسه مجلسًا بعد أن بلغه كلام أستاذه فيه. فدعا أبو حنيفة رجلاً وقال له: صِـرْ إلى مجلس أبي يوسف، فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قَصَّار ثوبًا ليصبغه بدرهم، فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له القصار: ما لك عندي شيء، وأنكره. ثم إن صاحب الثوب رجع إليه، فدفع إليه الثوب مصبوغًا، أَلَه أجرُه؟ فإن قال أبو يوسف: له أجره، فقل له: أخطأت. وإن قال: لا أجرَ له فقل له: أخطأت! فصار الرجل إلى أبي يوسف وسأله، فقال أبو يوسف: له الأجرة. قال الرجل: أخطأت. ففكر ساعة، ثم قال: لا أجرة له. فقال له: أخطأت! فقام أبو يوسف من ساعته، فأتى أبا حنيفة. فقال له: ما جاء بك إلا مسألةُ القصَّار. قال: أجل. فقال أبو حنيفة: سبحان اللّه! من قعد يُفتي الناس، وعقد مجلسًا يتكلم في دين اللّه، لا يُحسن أن يجيب في مسألة من الإجارات؟! فقال: يا أبا حنيفة، علِّمني. فقال: إنْ صبغه القصار بعدما غَصَبه فلا أجرة له، لأنه صبغ لنفسه، وإن كان صبغه قبل أن يغصبه، فله الأجرة، لأنه صبغه لصاحبه. ثم قال: مَن ظن أن يستغني عن التعلُّم فَلْيَبكِ على نفسه. من كتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي.

ـ ادفعوهن إلى الطبّاخ

كتب أَسد بن جهور، وكان ممن تصرّف في الأعمال الجليلة، إلى بعض العمال، أن احمل لنا مائتي جوانبيرة (وهي كلمة فارسية المراد بها النـّصـَف من النساء التي بين الشابـّة والمسنـّة).

فقال العامل: ما يصنع بهؤلاء العجائز!!

ثم حصـَّل منهن ما أمكن، وأنفذهنّ طـَوْعـًا أو كرهـًا.

فلما وصلن إلى بابه، وقرأ كتاب العامل بإنفاذهن،

قال: ادفعوهنّ إلى الطبـّاخ، وتقدَّموا إليه بأن يذبح لنا في كل يوم ما نحتاج إليه!

فقيل له: إنهن نساء!

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فقال: إنـــّا للّه! إنما أردت الجوامركات (وهو نوع من الدّجاج طيب اللحم) فغلطت!

من كتاب "الهفوات النادرة" لمحمد بن هلال الصابئ.

- أتدري بماذا غفرتُ لك؟

يروى أن بعض أصحاب الشبلي رآه في النوم بعد موته، فقال له: ماذا فعل الله بك؟

قال الشبلي: أوقفني الله بين يديه وقال: يا أبا بكر، أتدري بماذا غفرت لك؟ قلت: بصالح عملي؟ قال: لا. قلت: بإخلاصي في عبوديتي؟

قال: لا. قلت: بحجي وصومي وصلاتي؟

قال: لا. لم أغفر لك بذلك. قلت: بهجرتي إلى الصالحين و إدامة أسفاري في طلب العلوم؟

قال: لا. قلت: فهذه يا رب هي المنجيات التي كنت أعقد عليها خنصري وظني أنك تعفو عني وترحمني.

قال: كل هذه لم أغفر لك بها. قلت: فَبِمَ يا رب؟

قال: أتذكر حين كنت تمشي في دروب بغداد، فوجدت هرة صغيرة قد أضعفها البرد، وهي تنزوي من جدار إلى جدار من شدة البرد والثلج، فأخذتها رحمة لها، وأدخلتها في فروٍ كان عليك وقاية لها؟ قلت: نعم!

قال: برحمتك لتلك الهرة رحمتك.

من كتاب "تاريخ دمشق" لابن عساكر.

ـ أحمد بن طولون والصيّاد

ركب أحمد بن طولون فاجتاز بشاطئ النيل فوجد عنده شيخًا صيادًا عليه ثوب خلق لا يواريه، ومعه صبي في مثل حاله من العُرْي وقد رمى الشبكة في البحر.

فرثى لهما أحمد بن طولون، وقال لنسيم الخادم: يا نسيم، ادفع إلى هذا الصياد عشرين دينارًا.

ثم رجع ابن طولون عن الجهة التي كان قصدها واجتاز بموضع الصياد فوجده ملقى على الأرض وقد فارق الدنيا والصبي يبكي ويصيح.

فظن ابن طولون أن شخصًا قتله وأخذ الدنانير منه.

فوقف بنفسه عليه وسأل الصبي عن خبره

فقال الصبي: هذا الرجل ــ وأشار إلى نسيم الخادم ــ وضع في يد أبي شيئا ومضى، فلم يزل أبي يقلبه من يمينه إلى شماله ومن شماله إلى يمينه حتى سقط ميتًا.

فقال ابن طولون لغلمانه: فتشوا الشيخ. ففتشوه فوجدوا الدنانير معه.

وأراد ابن طولون الصبي على أن يقبض دنانير أبيه إليه فأبى،

وقال: أخاف أن تقتلني كما قتلت أبي.

فقال أحمد بن طولون لمن معه: الحق معه، فالغِنَى يحتاج إلى تدريج وإلا قَتَل صاحبَه.

من كتاب "سيرة أحمد بن طولون" لابن الدَّاية.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

- أُخرج بالتي هي أحسن

نزل أبو الأغر، وهو شيخ أعرابي من بني نهشل، ضيفا على بنت أختٍ له تسكن البصرة، وذلك في شهر رمضان.

فخرج الناس إلى ضياعهم، وخرج النساء يصلِّين في المسجد، ولم يبقى في الدار غير الإماء وأبي الأغرّ.

ودخل كلب من الطريق إلى الدار، ثم إلى حجرة فيها، فانصفق باب الحجرة ولم يتمكن من الخروج.

وسمع الإماءُ الحركة في الحجرة فَظَنَنَّ لصّا دخلها، فذهبت إحداهن إلى أبي الأغر فأخبرته، فأخذ عصا ووقف على باب الحجرة

وقال: يا هذا إنك بي لعارف. أنت من لصوص بني مازن، وشربتَ نبيذًا حامضا خبيئا حتى إذا دارت الأقداح في رأسك مَنَّتْكَ نفسُك الأماني،

فقلتَ: أَطْرُقُ دُورَ بني عمرو والرجال في ضياعهم والنساء يصلين في المسجد فأسرقهن. سَوْءةً لك! والله ما يفعل هذا رجلٌ حر! وبِئْسَمَا مَنَّتْك نفسُك!

فاخرج بالتي هي أحسن وأنا أعفو عنك وأسامحك وإلا دخلتُ بالعقوبة عليك.

وأيم الله لتخرجنّ أو لأهتفن هَتْفَةً فيجيء بنو عمرو بعدد الحصى، وتسأل عليك الرجال من ها هنا، وها هنا ولئن فعلتُ لتكونَنَّ أشأم مولود في بني مازن.

فلما رأى أنه لا يجيبه أخذ باللين فقال: أخرج بأبي أنت منصورا مستورا.

إني والله ما أراك تعرفني، ولئن عرفتني لوثقت بقولي، واطمأننت إليّ. أنا أبو الأغر النهشلي، وأنا خالُ القوم وقُرّة أعينهم، لا يعصون لي رأيا، وأنا كفيلٌ بأن أحميك منهم وأن أدافع عنك. فاخرج وأنت في ذمتي، وعندي فطيرتان أهداهما إليّ ابن أختي البار، فخذ إحداهما حلالا من الله ورسوله، بل وأعطيك بعض الدراهم تستعين بها على قضاء حوائجك.

وكان الكلبُ إذا سمع الكلام أطرق، فإذا سكت أبو الأغرّ وثب الكلب وتحرّك يريد الخروج.

فلما لم يسمع أبو الأغرّ ردّا قال: يا ألأم الناس! أراني في وادٍ وأنت في آخر.

والله لتخرجن أو لأدخلن عليك.

فلما طال وقوفه جاءت جاريةٌ وقالت لأبي الأغرّ: أعرابي جبان! والله لأدخلنَّ أنا عليه! ودفعت الباب، فوقع أبو الأغر على الأرض من فرط خوفه،

وخرج الكلبُ مبادرا فهرب من الدار.

واجتمعت الجواري حول أبي الأغرّ فقُلْن له: قم ويحك! فإنه كلب!

فقام وهو يقول: الحمد لله الذي مسخه كلبا وكفى العربَ شرَّ القتال!

من كتاب "عيون الأخبار" لابن قتيبة

- يا سلام سلِّم، الحائط بيتكلم!

في شهر رجب من سنة سبعمائة وواحد وثمانين هجرية، اتفقت حادثة مستغربة:

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وهي أن رجلاً يـــُعرف بابن الفيشي دخل إلى منزله بالقرب من الجامع الأزهر، فسمع صوتـــاً من جدار بيته يقول له: اتـــَّق الله وعاشر زوجتـــَك بالمعروف!

فظنَّ أن هذا من الجان، فإنه لم ير شيئـــاً. وحدّث أصحابه بذلك، فصاروا معه إلى بيته، فسمعوا عما بدا لهم، فأجابهم المتلكم من غير أن يروا شيئـــاً. فغلب على ظنهم أن هذا من الجان، وأشاعوه في الناس، فارتجـــَّت القاهرة ومصر، وأقبل الناس من كل جهة إلى بيت ابن الفيشي لسماع كلام الحائط، وصاروا يحادثون الحائط ويحادثهم. فكثر بين الناس

(قولهم: يا سلام سلـــِّم، الحائط بيتكلم!)

وكاد الناس أن يفتتنوا بهذا، وجلبوا إلى ذلك الجدار من المال شيئـــاً كثيراً. فركب محتسب القاهرة محمود العجمي إلى بيت ابن الفيشي هذا ليختبر ما يقال، ووكـــَّلَ بابن الفيشي أحدَ أعوانه. ووقف عند الحائط وحدّثه فحادثه. فأمر بهدم الحائط. فلما هـــُدم لم ير شيئـــاً. فعاد إلى بيته وقد كثر تعجـــّبه. وازدادت فتنة الناس بالحائط. وبعث المحتسب من يكشف له الخبر: هل انقطع الكلام بعد تخريب الحائط؟ فوجده الرجلُ يتكلم كما كان قبل خرابه. فتحيـــّر من ذلك.

وكان هذا المحتسب شهمـــاً جريئـــاً، قد مارس الأمور، وحلب الدهر أشطـــُره. وكان لا يتحرك حركة إلا حـــُمد عليها، ولا باشر جهة وَقـــْفٍ إلا عـــَمـــُر خرابـــُه، وإذا باشر حسبة القاهرة رخصت الأسعار، فإذا عـــُزِل ارتفعت، فتقف العامة وتطلب إعادته ليـــُمـــْن إقباله.

فلما عاد قاصده إليه، وأخبره بأن الكلام مستمرّ، قام من فوره ومعه عدة من أصحابه حتى جلسوا عند الجدار، وأخذوا في قراءة شيء من القرآن.

ثم طلب صاحب البيت وقال له:

قل لهذا المتكلم، القاضي العجمي يسلم عليك.

فقال: يا سيدي، الشيخ القاضي يسلم عليك.

فقال الجدار: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته.

فقال المحتسب: قل له، إلى متى هذا الفساد؟

فأجابه: إلى أن يريد الله تعالى.

فقال: قل له، هذا الذي تفعله فتنة للناس، وما هو جيد.

فأجابه: ما بقي بعد هذا الكلام.

وسكت، وهم يقولون له: يا سيدي الشيخ! فلم يكلمهم بعدها.

وكان في صوته غلظة يوحي بأنه ليس بكلام إنس. فلما أيس الشيخ العجمي من مكالمته، قام عنه وقد اشتدت فتنة الناس بالحائط حتى كادوا يتخذوه معبوداً لهم. وغلوا فيه كعادتهم، وزعموا له ما شاءوا من تـــُرَّهاتهم، وحمل إليه الأمراء والأعيان المأكل وغيره، والمحتسب يدبـــّر في كشف الحيلة. ثم ركب المحتسب يومـــاً إلى دار ابن الفيشي، وقبض عليه وعلى امرأته، وعاد بهما إلى داره. وما زال يستدرجهما حتى اعترفت المرأة بأنها هي التي كانت تتكلم، وأن الذي دعاها إلى ذلك

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أن زوجها كان يسيء عشرتها، فاحتالت عليه بهذه الحيلة لتوهمه بأن الجان توصيه بها. فتمت حيلتها عليه، وانفعل لها، فأعلمته بما كان منها، فرأى زوجها أن تستمر على ذلك لينالا به جاهاً ومالاً، فوافقته. فركب المحتسب إلى الأمير الكبير وأعلمه بقول المرأة، فضرب الأمير الكبير ابن الفيشي بالمقارع، وضرب المرأة بالعصيّ نحوًا من ستمائة ضربة، وأمر بهما فسُمِّرا على جملين، وشُهِّرا بالقاهرة. فكان يوماً شنيعاً،

عظم فيه بكاء الناس على المرأة، وكثُر دعاؤهم على المحتسب!

من كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزي

لا يلتقي الإخلاصُ والدينارُ

فتشتُ في طول البلاد وعرضها ... تَعِبَ النهارُ وكلّتْ الأسْحارُ

حتى وجدتُ فمَ الدعاة مُكمَّماً ... بالأصفر الرَّنان وهو نَضارُ

فعرفتُ أنَّ المالَ يُفسدُ زاهداً ... لا يلتقي الإخلاصُ والدينارُ

- (من ديوان (الله للإسلام) للشاعر/ محمد حوطر ص١١١)

ـ أوارث أنت لبني أمية

رُفع إلى أمير المؤمنين المنصور أن رجلاً يُخفي عنده ودائع وأموالاً لبني أمية، فأمر بإحضاره، فلما دخل عليه قال له: قد رُفع إلينا خبر الودائع والأموال التي عندك لبني أمية. فأَخرجها إلينا.

فقال: يا أمير المؤمنين، أوارثٌ أنت لبني أمية؟

قال: لا. قال: فوصيّ لهم في أموالهم؟

قال: لا. قال: فما مسألتك عما في يدي من ذلك؟ فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال: إن بني أمية ظلموا المسلمين فيها، وأنا وكيل المسلمين في حقهم، وأريد أن آخذ ما ظلموا فيه المسلمين فأجعله في بيت مالهم.

فقال الرجل: تحتاج يا أمير المؤمنين إلى إقامة البيّنة العادلة على أن ما في يدي لبني أمية مما خانوا وظلموا فيه دون غيره، فقد كان لبني أمية أموال غير أموال المسلمين.

فصمت المنصور برهة ثم قال: صدقت. ما يجب عليك شيء.. هل لك من حاجة؟

قال: حاجتي يا أمير المؤمنين أن تبعث بكتاب إلى أهلي ليطمئنوا على سلامتي، فقد راعهم طلبك إياي.. وقد بقيت لي حاجة أخرى.

قال: وما هي؟ قال: تجمع بيني وبين من سعى بي إليك، فوالله ما لبني أمية في يدي مال ولا وديعة، ولكني لما مَثَلتُ بين يديك وسألتني عما سألتني عنه، علمتُ أنه ما يُنجيني منك إلا هذا القول، لما اشتهر من عدلك.

فقال المنصور: يا ربيع، اجمع بينه وبين من سعى به. فلما جاء به الربيع عرفه الرجل، وقال: هذا غلامي سرق مني ثلاثة آلاف دينار وهرب مني، وخاف من طلبي له فسعى بي عند أمير

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

المؤمنين. فشدّ المنصور على الغلام حتى أقرّ بكل ما ذكره سيـــدّه.

وقال المنصور للشيخ: نسألك أن تصفح عنه.

قال: قد صفحتُ عنه وأعتقتهُ ووهبتُ له الثلاثة آلاف التي أخذها وثلاثة آلاف أخرى.

وانصرف. فكان المنصور يتعجـــّب منه كلما ذكره ويقول: ما رأيتُ مثلَ ذلك الشيخ قط.

من كتاب "المستجاد من فعلات الأجواد" للتنـــوُّخي

ـ إني أرى في الكتاب ما لا ترون

كان سديدُ المُلك، وهو أول من ملك قلعة شَيْزَر من بني منقذ، موصوفًا بقوّة الفطنة.

وتُنقل عنه حكاية عجيبة، وهي أنه كان يتردد إلى حَلَب قبل تملّكه شيزر، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس.

فجرى أمرٌ خاف سديد الملك على نفسه منه، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام. فتقدّم محمود بن صالح إلى كاتبه أن يكتب إلى سديد الملك كتابًا يتشوّقه ويستدعيه إليه.

ففهم الكاتب أنه قصد له شرّا، وكان صديقًا لسديد الملك. فكتب الكتاب كما أُمِر إلى أن بلغ إلى "إن شاء الله تعالى"، فشدَّد النون وفَتَحَها.

فلما وصل الكتاب إلى سديد الملك عَرَضَه على من بمجلسه من خواصه، فاستحسنوا عبارة الكتاب، واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه.

فقال سديد الملك: إني أرى في الكتاب ما لا ترَوْن.

ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال، وكتب في جملة الكتاب: أنا "الخادم المقرّ بالإنعام"، وكسر الهمزة من أنا، وشدَّد النون. فلما وصل الكتاب إلى محمود، ووقف عليه الكاتب، سُرَّ الكاتب بما فيه، وقال لأصدقائه: قد علمتُ أن الذي كتبتُه لا يخفى على سديد الملك، وقد أجاب بما طَيـــَّبَ نفسي.

وكان الكاتب قد قصد قول الله تعالى: "(إِنَّ المَلأَ يأتمرون بك ليقتلوك)،

فأجاب سديد الملك بقوله تعالى: (إِنـــَّا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها)!

من كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلّكان.

ـ ابن حزم والجارية

ألفْتُ في أيام صباي ألفة المحبة جاريةً نشأتْ في دارنا، وكانت في ذلك الوقت بنت ستة عشر عاما. وكانت غاية في حسن وجهها وعقلها وعفافها وخفرها ودماثتها، عديمة الهزل، منيعة البذل، قليلة الكلام، مغضوضة البصر، دائمة القطوب، حلوة الإعراض، مليحة الصدود، كثيرة الوقار، لا تُوَجَّه الأراجي نحوها، ولا تقف المطامع عليها.

فوجهها جالبٌ كل القلوب، وحالها طاردٌ من أَمَّها. تزدان في المنع والبخل ما لا يزدان غيرها بالسماحة والبذل. وكانت تحسن العود إحسانًا جيدًا، فجنحت إليها وأحببتُها حبًا مفرطًا. وسعيتُ عامين أو نحوهما أن تجيبني بكلمة وأسمع من فيها لفظة غير ما يقع في الحديث الظاهر إلى كل

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

سامع، فما وصلتُ من ذلك إلى شيء البتة.

وأذكر حفلا كان في دارنا تَجَمَّعَت فيه نساء كثيرات، ثم انتقلن إلى مكان في الدار يُشرف على بستاننا وعلى جميع قرطبة وبيوتها. وأذكر أني كنت أقصد نحو الباب الذي هي عنده، أنسًا بقُربها، متعرّضًا للدنو منها، فما هي إلا أن تراني في جوارها فتترك ذلك الباب وتقصد غيره في لطف الحركة.

فأتعمد أنا القصد إلى الباب الذي صارت إليه، فتعود إلى مثل ذلك الفعل من الانتقال إلى غيره. وكانت قد علمت كلفي بها، ولم يشعر سائر النسوان بما كنا فيه، لأنهن كن عددًا كثيرًا.

ثم نزلن إلى البستان. فرغب عجائزنا وكرائمنا إلى سيدتها في سماع غنائها. فَأَمَرتْها، فأخذت العود وسوّته بخفر وخجل لا عهد لي بمثله، وإن الشيء يتضاعف حسنُه في عين مستحسنه. ثم اندفعت تغني بأبيات العباس بن الأحنف

حيث يقول: ليست من الأنس إلا في مناسبة ولا من الجـــن إلا في التصـــاوير فالوجه جوهرة، والجسم عبهرة والريـــح عنبره، والكل من نـــور فلعمري لكأن المضراب إنما يقع على قلبي، وما نسيت ذلك اليوم ولا أنساه إلا يوم مفارقتي الدنيا.

وهذا أكثر ما وصلتُ إليه من التمكن من رؤيتها وسماع كلامها. ثم انتقل أبي رحمه الله من دارنا بالجانب الشرقي من قرطبة، إلى دارنا القديمة في الجانب الغربي منها. وانتقلتُ أنا بانتقاله، ولم تنتقل هي بانتقالنا لأمور أوجبت ذلك. ثم شُغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام بالنكبات وباعتداء أرباب دولته، وامتُحِنّا بالاعتقال والمراقبة والغرامات الفادحة و الاستتار. وتوفى أبي الوزير رحمه الله واتّصلت بنا تلك الحال بعده، إلى أن كانت عندنا جنازة لبعض أهلنا فرأيتها.

رأيتها في المأتم وسط نساء في جملة البواكي والنوادب، فأثارت وجدا دفينًا وحرّكتْ ساكنًا، وذكّرتني عهدًا قديمًا وحبًا تليدًا ودهرًا ماضيًا، فجدّدت أحزاني. ثم ضرب الدهر ضرباته، وأُجلينا عن منازلنا، وتغلّب علينا جند البربر، فخرجت من قرطبة، وغابت عن بصري بعد تلك الرؤية الواحدة ستة أعوام.

ثم دخلتُ قرطبة في شوال سنة تسع وأربعمائة، فنزلتُ على بعض نسائنا، فرأيتها هنالك، ولم أميّزها حتى قيل لي هذه فلانة. فإذا هي وقد تغيرت محاسنها، وذهبت نضارتها، وفنيت تلك البهجة، وخاض الماء الذي كان يُرى كالسيف الصقيل، ولم يبق إلا البعض المُميز من الكل، وذلك لقلة اعتنائها بنفسها، وافتقادها الصيانة التي كانت غذّيت بها أيام دولتنا وامتداد ظلنا، واضطرارها إلى الخروج فيما لا بدّ لها منه مما كانت تُصان عنه قبل ذلك.

وإنما النساء رياحين متى لم تتعاهد نقصت، وبناءً متى لم يُصن تهدّم. ولو أني كنت قد نلتُ منها أقلّ وصل، أو كانت أنست لي بعض الأنس لطربتُ وفرحتُ لرؤيتها.

غير أن ذلك الصد منها هو الذي صبّرني وأسلاني. وهذا الوجه من أسباب السلو صاحبه معذور وغير ملوم، إذا لم تنشأ علاقة توجب الوفاء، ولا وقع عهد يقتضي المحافظة ويُلام المرء على

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

تضييعه ونسيانه.

من كتاب "طوق الحمامة" لابن حزم.

ـ الحلم

- كان هشام مشهوراً بالحلم والعفة، شتم مرة رجلاً من الأشراف فقال له الرجل أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة اللَّه في الأرض. فاستحيا منه هشام وقال اقتص مني قال إن أنا سفيه مثلك قال فخذ مني عوضاً من المال قال ما كنت لأفعل، قال فهبها للَّه، قال هي للَّه ثم لك. فنكث هشام رأسه واستحيا وقال واللَّه لا أعود لمثلها أبداً .

ما ضَرَّنا شيء

أكنت في خدمة السلطان صلاح الدين بمرج عيون قبل خروج الإفرنج إلى عكا. وكان من عادته أن يركب في وقت الركوب، ثم ينزل، فيمدّ الطعام، ويأكل مع الناس، ثم ينهض إلى خيمة خاصة له ينام فيها، ثم يستيقظ من منامه ويصلي، ويجلس خلوة وأنا معه نقرأ شيئاً من الحديث أو شيئاً من الفقه. فنزل يوماً على عادته، ومُدّ الطعام بين يديه، ثم عزم على النهوض لينام.

فقيل له: "إن وقت الصلاة قد قرب"، فعاد إلى الجلوس

وقال: "تصلي وننام". ثم جلس يتحدّث حديث متضجّر وقد أُخلي المكان إلا ممن لزم. فتقدم إليه مملوك وعرض عليه قضية لبعض الجند،

فقال له صلاح الدين: أنا الآن ضجران. أخّرها ساعة. فلم يفعل، وقدّم الورقة إلى قريب من وجه السلطان بيده، وفتحها بحيث يقرأها. فوقعت عينه على الاسم المكتوب في رأسها فعرفه،

فقال: رجلٌ يستحق.

فقال المملوك: يُوَقّعُ المولى له؟

فقال: ليست الدواة حاضرة الآن. أخِّرها ساعة.

قال المملوك: هذه الدواة في صدر الخيمة. وليس لهذا معنى إلا أنه يأمر السلطان بإحضار الدواة.

فالتفت صلاح الدين فرأى الدواة،

فقال: "صدقت."، وقام فأحضر الدواة ووقّع على الورقة.

قلت له: قال الله تعالى في نبيه صلى الله عليه وسلم: (وإنك لعلى خلق عظيم). وما أرى المولى إلا قد شاركه في هذا الخلق.

فقال: ما ضرّنا شيء. قضينا حاجته وحصل الثواب.

من كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليُوسُفية" لبهاء الدين بن شَدّاد.

ـ أكثرُ الناس يقرأها بالفَتْح

قرأ الخليفة المتوكل يومًا، وبحضرته وزيره الفتح بن خاقان: (وما يُشْعِرُكُم أَنَّها إذا جاءت). فقال له الفتح: يا سيدي، (إنّها إذا جاءت) بالكسر.

ووقعت المشاجرة، فتراهنا على عشرة آلاف دينار، وتحاكما إلى يزيد بن محمد المهلَّبي الشاعر ــ

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وكان صديقًا للمبرّد ــ فلما وقف يزيد على ذلك خاف أن يَسْقُطَ أحدهما،

فقال: واللّه ما أعرف الفرق بينهما. وما رأيت أعجب من أن يكون باب أمير المؤمنين يخلو من عالم متقدم.

فقال المتوكل: فليس ها هنا من يُسأَل عن هذا؟

قال: ما أعرف أحدًا يتقدم فتى بالبصرة يُعرف بالمبّرد.

فقال: ينبغي أن يُشْخَص. فلما أُدْخِل المبّرد على الفتح بن خاقان،

قال له: يا بصريّ، كيف تقرأ هذا الحرف (وما يُشْعِرُكم إنها إذا جاءت لا يؤمنون) بالكسر، أو (أنها إذا جاءت) بالفتح؟

قال المبرد: (إنها) بالكسر. وذلك أن أول الآية: (وأَقْسَموا باللّه جَهْد أَيمانهم لئن جاءَتهم آية لَيُؤْمِنُنَّ بها، قُل إنما الآيات عند اللّه وما يُشْعِرُكم)، ثم قال تبارك وتعالى: يا محمد .إنّها إذا جاءت لا يؤمنون) باستئناف جواب الكلام المتقدم)

قال الفتح: صدقت ثم ركب إلى دار أمير المؤمنين، وعرّفه بقدوم المبرّد، وطالبه بدفع ما تخاطرا عليه فأمر المتوكل بإحضار المبرد. فلما وقعت عينه عليه

قال: يا بصريّ، كيف تقرأ هذه الآية: (وما يُشْعِرُكم إنها إذا جاءت) بالكسر، أو (أَنَّها إذا جاءت) بالفتح؟

قال المبّرد: يا أمير المؤمنين، أكثر الناس يقرأها بالفتح. فضحك المتوكل وضرب برجله اليسرى، وقال: أَحضر يا فتحُ المال.

فقال: إنه واللّه يا سيدي قال لي خلاف ما قال لك.

فقال المتوكل: دعني من هذا. أحضر المال!

وخرج المبرّد، فلم يصل إلى الموضع الذي كان أُنْزِلَه حتى أتته رُسُل الفتح.

فلما أتاه قال له: يا بصريّ، أوّل ما ابتدأنا به الكذب!

قال المبرّد: ما كذبتُ.

فقال: كيف وقد قلتَ لأمير المؤمنين إن الصواب: (وما يُشْعِرُكم أَنها إذا جاءت) بالفتح؟

فقال: أيها الوزير، لم أقل هكذا،

وإنما قلت: أكثر الناس يقرأها بالفتح. وأكثرهم على الخطأ. وإنما تخلَّصتُ من اللائمة، وهو أمير المؤمنين.

فقال الفتح: أحسنت!

من كتاب "طبقات النحويين واللغويين" للزُّبيدي الأندلسي.

ـ الخـائن

وَفَدَ الحجاج بن يوسف الثّقفي على عبد الملك بن مروان، ومعه إبراهيم بن طلحة.

وكان الحجاج لما وَلِي الحرمين بعد قتل عبد الله بن الزبير، استحضر إبراهيم بن طلحة فقرّ به

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وأعظم منزلتَه رغم صلته بابن الزبير، فلم تزل تلك حالة عنده حتى خرج به إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، فخرج معه مُعادِلا له، لا يقصّر له في برّ ولا إكرام.

فلما حضرا باب عبد الملك، دخل الحجاج، فما ألقى السلام

حتى قال: قدمتُ عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز وأسده، لم أر له بالحجاز نظيرا في الفضل والأدب والمروءة وحسن المذهب، مع قرابة الرحم، ووجوب الحق، وما بلوتُ منه من الطاعة والنصيحة، وهو إبراهيم بن طلحة، وقد أحضرتُه ببابك ليَسْهُلَ عليه إذنُك.

قال عبد الملك: أَذْكَرْتَنا رحما قريبةً وحقا واجبا. يا غلام! ائذن له.

فلما دخل إبراهيم أدناه الخليفةُ حتى أجلسه على فراشه،

ثم قال له: يا ابن طلحة، إن أبا محمد (الحجاج) أذكرنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب وحسن المؤازرة. فلا تدعنّ حاجة في خاصتك وعامتك إلا ذكرتَها.

فقال ابن طلحة: يا أمير المؤمنين، إن أولى الحوائج ما كان لك ولجماعة المسلمين فيه نصيحة. وعندي نصيحة لا أجد بُدّا من ذكرها، ولا أقدر على ذلك إلا ونحن بمفردنا.

فقال عبد الملك: دون أبي محمد؟!

قال: دون أبي محمد.

فقال عبد الملك للحجاج: قُم يا أبا محمد. فلما خرج الحجاج،

قال الخليفة: قل نصيحتك يا ابن طلحة.

فقال: يا أمير المؤمنين، عمدت إلى الحجاج في تغطرسه وتعجرفه وبُعْده عن الحق وقُربه من الباطل. فولّيته الحرمين، وهما ما هما، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار، والموالي البررة الأخيار، يطأهم بالعسف، ويسومهم بالظلم والخسف، ويحكم فيهم بغير السُّنّة، بعد الذي كان من سفك دمائهم، وما انتهك من حُرمهم. فاعزِله يا أمير المؤمنين حتى لا تكون بينك وبين نبيك يوم القيامة خصومة. فبُهِت عبدُ الملك لكلامه،

ثم قال: كذبت! وقد ظنّ الحجاجُ بك الخير وأطنب في مدحك والثناء عليك وقد يُظَنُّ الخير بغير أهله.

قم عني فإنك أنت الكاذب المائن الخائن! فقام ابن طلحة لا يعرف لنفسه طريقا.

فما خرج من الباب حتى لحقه رجلٌ صاح بالحرس: احبسوا هذا!

وقيل للحجاج: أمير المؤمنين يطلبك. ومكث ابن طلحة مليّا من النهار لا يشك أن الخليفة والحجاج في أمره.

ثم خرج الآذن فقال له: ادخل يا ابن طلحة. فلما أراد الدخول على عبد الملك، إذا بالحجاج يلقاه عند الباب وهو خارج من عنده. فما رآه الحجاج حتى عانقه وقبّل ما بين عينيه،

وقال له: قد جزى الله المتواخين بفضل تواصلهم، فجزاك الله عني أفضل الجزاء، ولن أنسى لك هذا الجميل ما حييت.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ثم مضى وطلحة يقول في نفسه: يهزأ بي وربّ الكعبة.

فلما دخل على عبد الملك، بدأه الخليفة بقوله: قد عزلتُ الحجاج عن الحرمين وولّيتُه العراق وفارس معا.

ولم أشأ أن أفْسِدَ مودّتَه لك وأخيب ظنَّه فيك، فأخبرته أنك أنت الذي دعوتني إلى توليته عليهما لفضله وحزمه وحكمته. فاخرج معه إن شئت وأخلِصْ له الودّ والنصيحة فإنك غيرُ ذامٍّ لصحبته.

من كتاب "بدائع السلك في طبائع الملك" لابن الأزرق.

ـ العتابـي والبقـر

قال عمر الورّاق: رأيتُ كلثوم بن عمرو العتّابي الشاعر يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام.

فقلت له: ويحك! أما تستحي من الناس؟

فقال: أرأيت لو كنا في مكان فيه بقر، أكنت تحتشم أن تأكل والبقر يراك؟

فقلت: لا. فقال: فاصبر حتى أريكَ أن هؤلاء الناس بقر.

ثم قام فوعظ وقصّ ودعا حتى كثر الزحام عليه،

فقال لهم: رُوي لنا من غير وجه أنه من بَلَغَ لسانُه أرنبةَ أنفه لم يدخل النار! فما بقى أحد منهم إلا أخرج لسانه نحو أرنبة أنفه ليرى هل يبلغها أولاً.

فلما تفرقوا قال لي العتابي: ألم أخبرك أنهم بقر؟

من كتاب "فوات الوفيات" لابن شاكر الكتبي.

ـحسدني عليك

- الشَّعْبــيّ وملك الروم كان الشعبي، نديم الخليفة عبد الملك بن مروان، كوفيا تابعيا جليل القدر، وافر العلم. حكى الشعبيّ .....

قال: أنفذني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم. فلما وصلتُ إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبته. وكانت الرسل لا تُطيل الإقامة عنده، غير أنه استبقاني أياماً كثيرة، حتى استحثثتُ خروجي.

فلما أردت الانصراف

قال لي: من أهل بيت الخليفة أنت؟

قلت: لا، ولكني رجل من عامة العرب. فهمس لأصحابه بشيء، فدُفعتْ إليّ رقعة،

وقال لي: إذا أدّيتَ الرسائل إلى الخليفة فأوصلْ إليه هذه الرقعة. فأديت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك، ونسيت الرقعة. فلما خرجت من قصره تذكّرتها، فرجعتُ فأوصلتُها إليه.

فلما قرأها قال لي: أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك؟

قلت: نعم، قال لي: من أهل بيت الخليفة أنت؟ قلت لا، ولكني رجل من عامة العرب. ثم خرجت من عند عبد الملك، فلما بلغتُ الباب ردّني،

فلما مثلت بين يديه قال لي: أتدري ما في الرقعة؟

قلت: لا. قال: اقرأها. فقرأتها،

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فإذا فيها: "عجبتُ من قوم فيهم مثل هذا كيف ملّكوا غيرَه!"

فقلت له: والله لو علمتُ ما فيها ما حَمَلتُها، وإنما قال هذا لأنه لم يَرَك.

قال عبد الملك: أفتدري لم كتبها؟ قلت: لا.

قال: حسدني عليك، وأراد أن يُغريني بقتلك.

فلما بلغت القصة مسامع ملك الروم قال: ما أردت إلا ما قال!

من كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان.

ـ الشــمعة

وفد على الخليفة عمر بن عبد العزيز رسولٌ من بعض الآفاق. فلما دخل دعا عمرُ بشمعة غليظة فأُوقدت. وكان الوقت ليلاً. وجعل عمر يسأله عن حال أهل البلد، وكيف سيرة العامل، وكيف الأسعار، وكيف أبناء المهاجرين والأنصار، وأبناء السبيل والفقراء، فأنبأه الرسول بجميع ما عَلِمَ من أمر تلك المملكة. فلما فَرَغَ عمر من مسألته،

قال الرسول له: يا أمير المؤمنين كيف حالُك في نفسك وبَدَنك، وكيف عيالك؟ فنفخ عمر الشمعة فأطفأها،

وقال: يا غلام، علَيّ بسراج. فأتى بفتيلة لا تكاد تضيء فعجب الرسول لإطفائه الشمعة

وقال: يا أمير المؤمنين، فعلتَ أمرًا حيّرني. قال: وما هو؟

قال: إطفاؤك الشمعة عند مسألتي إياك عن حالك؟

قال: الشمعة التي أطفأتُها هي من مال الله ومال المسلمين، وكنت أسألك عن أمرهم وحوائجهم وهي موقدة، فلما صرتَ لشأني وأمر عيالي أطفأتُ نار المسلمين!

من كتاب "سيرة عمر بن عبد العزيز" لعبد الله بن عبد الحكم.

ـ القاضــي التنوخــي

كان القاضي أبو القاسم التنوخي ظريفــاً نبيلاً جيــّد النادرة.

اجتاز يومــاً في بعض الدروب فسمع امرأة تقول لأخرى: كم عــُمر بنتك يا أختي؟

فقالت: رُزقتــُها يوم صفعوا القاضي وضربوه بالسياط. فرفع رأسه إليها

وقال: يا امرأة، صار صفعي تاريخــَك، ما وجدتِ تاريخــاً غيره؟!

وكان يومــاً نائمــاً وقت الظهيرة، فاجتاز إسكافيّ وأزعجه بصياحه في الطريق:

نــُصلح النــِّعال! نصلح النــِّعال! فقال التنوخي لغلامه: اجمع كل نعل في البيت وأعطها لهذا يــُصلحها ويشتغل بها.

ثم نام. وأصلحها الإسكافيّ واشتغل بها إلى آخر النهار ومضى لشأنه. فلما كان في اليوم الثاني مرّ بالطريق يصيح ولم يدعه ينام.

فقال القاضي لغلامه: أدخله! فلما أدخله

قال له: يا ابن الفاعلة، أمس أصلحتَ كلَّ نعلٍ عندنا، واليوم تصيح على بابنا؟ هل بلغك أننا نتصافع

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

بالنعال ونقطعها؟!

ثم قال للخدم: اصفعوه على قفاه. فصاح الإسكافي قائلاً: يا سيدي أتوب ولا أعود أدخل إلى هذا الدرب أبدًا!

من كتاب "فوات الوفيات" لابن شاكر الكتبي.

ـ القرآن وكلام الصاحب بن عبّاد

ناظر الوزيرُ الصاحبُ بن عباد يهوديّا بالريّ، هو رأس الجالوت، في إعجاز القرآن. فراجعه اليهوديّ فيه طويلاً حتى احتدَّ الصاحب وكاد ينقدّ.

فلما رأى اليهودي منه ذلك احتال طلبًا لمداراته،

فقال: أيها الصاحب، لِمَ تتــقّد وتلتهب؟ كيف يكون القرآن عندي آيةً ودلالةً على النبوّة، ومعجزةً من جهة نظمه وتأليفه؟ فإن كان البلغاء، فيما تدّعي، عنه عاجزين، فأنا أصْدُقُ عن نفسي وأقول إن رسائلك وكلامك وما تؤلفه من نظم ونثر هو عندي فوق ذلك أو مثل ذلك أو قريب منه. وعلى كل حال فليس يظهر لي أنه دونه!

فلما سمع ابن عباد هذا فَتَر وخَمَد، وسكن عن حركته،

وقال: ولا هكذا أيضًا يا شيخ. كلامُنا حسن بليغ، وقد أخذ من الجزالة حظّا وافرًا، ومن البيان نصيبًا ظاهرًا، ولكن القرآن له المزية التي لا تُجْهَل.

هذا كله يقوله وقد تراجع مزاجُه، وصارت نارُه رمادًا، مع إعجاب شديد قد شاع في أعطافه، وفرح غالب قد دبَّ في أسارير وجهه، لأنه رأى كلامه شُبْهةً على اليهود مع سعة حِيَلهم، وشدّة جدالهم، وطول نظرهم، وثباتهم لخصومهم، فكيف لا يكون شبهة على النصارى وهم ألين من اليهود عريكة، وأكثرهم تسليمًا؟!

من كتاب "أخلاق الوزيرين" لأبي حيّان التوحيدي.

ـ العامَّـة والأنعـام

كان المأمون قد همَّ بلعن معاوية بن أبي سفيان. فمنعه عن ذلك يحيى ابن أكثم،

وقال له: يا أمير المؤمنين، إن العامة لا تحتمل هذا، دعهم على ما هم عليه، ولا تــُظهر لهم أنك تميل إلى فرقة من الفــرَق، فإن ذلك أصلحُ في السياسة.

فركن المأمون إلى قوله. فلما دخل عليه ثــُمامة بن الأشرس،

قال له المأمون: يا ثــُمامة، قد علمتَ ما كنا دبــَّرناه في معاوية، وقد عارضــَنا رأيٌ أصلح في تدبير المملكة، وأبقــَى ذكرًا في العامة. ثم أخبره أن يحيى خوّفه إياها.

فقال ثمامة: يا أمير المؤمنين، والعامة عندك في هذا الموضع الذي وضعها فيه يحيى؟! واللّه ما رضي اللّه أن سوّاها بالأنعام حتى جعلها أضلّ سبيلاً،

فقال تبارك وتعالى: (أم تَحسَبُ أَنَّ أكثَرهم يسمعون أو يعقلون. إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً). واللّه لقد مررتُ منذ أيام في شارع الخُلد، فإذا إنسانٌ قد بسط كِساءه وألقى عليه أدوية

وهو قائم ينادي: هذا الدواء للبياض في العين والغشاوة وضعف البصر. وإن إحدى عينيه لمطموسة والأخرى مـؤْلَـمَة.

والناس قد انثالوا عليه، واحتفلوا إليه يستوصفونه. فنزلت عن دابتي، ودخلتُ بين تلك الجماعة

فقلت: يا هذا، أرى عينيك أحوجَ الأعين إلى العلاج، وأنت تصف هذا الدواء وتخبر أنه شفاء، فما بالك لا تستعمله ؟!

فقال: أنا في هذا الموضع منذ عشرين سنة ما رأيتُ شيخًا قط أجهل منك ولا أحمق!

قلت: وكيف ذلك؟

قال: يا جاهل، أتدري أين اشتكت عيني؟

قلت: لا.

قال: بمصر! فأقبلت عليّ الجماعة فقالت: صدق الرجل. أنت جاهل! وهمـّوا بي.

فقلت: واللّه ما علمتُ أن عينه اشتكت بمصر. فما تخلـّصتُ منهم إلا بهذه الحجّة!

من كتاب "المحاسن والمساوئ" لإبراهيم بن محمد البيهقي.

ـ أهنا عيش

حج عبد الله بن عباس بالناس، ونزل ذات يوم منزلاً، وطلب من غلمانه طعاماً فلم يجدوا شيئاً،

فقال لهم: اذهبوا إلى هذه البرية، لعلكم تجدون راعياً أو خيمة فيها لبن أو خبز، فمضوا حتى وقفوا على عجوز في فناء خبائها، فسلموا عليها،

وقالوا لها: أعندك طعام نبتاعه؟

قالت: أما للبيع فلا، ولكن عندي ما يكفيني أنا وأبنائي،

فقالوا: وأين بنوك؟

قالت: في مرعى لهم، وهذا أوان أوبـَتهم،

قالوا: وما أعددت لهم؟

قالت: خبزة تحت المـلَّة،

قالوا: أوليس عندك شيء آخر؟

قالت: لا،

قالوا: فجودي لنا بشطرها،

قالت: أما الشطر فلا أجود به، وأما الكل، فخذوه،

فقالوا: تمنعين النصف، وتجودين بالكل،

قالت: نعم، لأن إعطاء الشطر نقيصة، وإعطاء الكل فضيلة، فأنا أمنع ما يضعني، وأمنح ما يرفعني

ثم أعطتهم الخبز، ولم تسألهم من هم؛ ولا من أين جاءوا؟

فرجعوا إلى ابن عباس وأخبروه بخبر هذه المرأة، فعجب منها

وقال: احملوها إليَّ الساعة، فبادروا إليها،

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وقالوا لها: إن صاحبنا يريد أن يراك،

فقالت: ومن صاحبكم؟

قالوا: عبد الله بن عباس،

قالت: وأبيكم هذا هو الشرف الأعلى، وماذا يريد مني،

قالوا: إكرامــَك ومكافأتك،

فقالت: والله لو كان ما فعلته معروفاً، ما كنت لآخذ عنه بديلاً، فكيف وهو شيء يجب أن يشارك فيه الناس بعضهم بعضاً، وألحــُّوا عليها حتى ذهبوا بها، فلما وصلت إلى عبد الله سلمت عليه، فرد عليها السلام، وقرب مجلسها،

وقال لها: ممن أنت يا خالة؟

قالت: من قبيلة بني كلب،

قال: وكيف حالك؟

قالت: آكل الخبز المليل وأكتفي منه بالقليل، وأشرب الماء من عين صافية وأبيت ونفسي من الهموم خالية، فازداد منها استغراباً،

وقال: لو جاء بنوك الآن وهم جياع، ما كنت تصنعين لهم؟

قالت: يا هذا لقد عظمت عندك خبزتي حتى أكثرت فيها الكلام، أشغل فكرك عن هذا فإنه يفسد المروءة ويورث الخسة،

فقال لغلمانه: أحضروا أولادها، فأحضروهم فقربهم إليه

وقال: إني لم أطلبكم لمكروه، وإنما أحب مساعدتكم بمال،

فقالوا: نحن في كفاف من الرزق، فوجــِّه مالك نحو من يستحقه،

فقال: لا بد أن يكون لي عندكم شيء تذكروني به، وأمر لهم بعشرة آلاف درهم، وعشرين ناقة مع فحلها.

ـ الصبيّ الغريـق

لما انتصر جيش الخليفة المعتضد على هارون الشاري، نُصبت القِباب ببغداد، وزُيِّــنت الطرقات، وتكاثف الناس على الجسور، فانخسف بهم الجسر الأعلى وسقط على زورق مملوء ناسًا، فغرق في ذلك اليوم نحو من ألف نفس،

واستُخرج الغرقى من نهر دجلة بالكلاليب وبالغَاصة، وارتفع الضجيج، وكثر الصراخ من الجانبين جميعًا.

فبينما الناس كذلك إذ أخرج بعض الغاصة صبيّا عليه حلي فاخرة من ذهب وجوهر، فبصر به شيخ من النظارة، فجعل يلطم وجهه حتى أدمى أنفه، ثم تمرّغ في التراب،

وجعل يصيح: ابني! لم تَمُتْ إذ أخرجوك صحيحًا سويّا لم يأكلك السمك! ليتني يا حبيبي كحلت عيني بك مرة قبل الموت!

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وأخذه فحمله على حمار، ثم مضى به.

فما برح القوم الذين رأوا من الشيخ ما رأوا، حتى أقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار، حين بلغه الخبر، وهو لا يشك إلا أن الصبي في أيديهم، وليس يهمه ما كان عليه من حليّ وثياب، وإنما أراد أن يكفِّن ابنه ويصلـــِّي عليه ويدفنه.

فخبّره الناس بالخبر، فبقي هو ومن معه من التجار متعجبين مبهوتين، وسألوا عن الشيخ المحتال واستبحثوا فإذا لا عين ولا أثر.

من كتاب "مروج الذهب" للمسعودي.

ـ الثقــة بـالله

علم الرشيد، أن في دمشق رجلاً من بقايا الأمويين، عظيم السطوة، كثير الأعوان والجنود، يـــُخشى خطره على الدولة، فأرسل إليه من يحضره مقيداً، فلما ذهب إليه الرسول، قيده وحمله على راحلته وسارا، فلما وصلا إلى ظاهر دمشق التفت الأموي إلى بستان حسن

وقال: هذا بستان لي، وفيه غرائب الأشجار وبدائع الأثمار، ثم انتهى إلى مزارع حسان وقـــُرى واسعة وقال: مثل ذلك، فعجب الرسول من هدوء الأموي، ورباطة جأشه،

وقال له: ألست تعلم أن أمير المؤمنين أقلقه أمرك، فأرسل إليك من انتزعك من بين أهلك ومالك وولدك؟ لا تدري عاقبة أمرك ولا ما ينتهي إليه حالك؟

فقال الأموي: إنا لله وإنا إليه راجعون، وإني على ثقة من الله عز وجل، وفي يده ناصية أمير المؤمنين، ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا بإذن الله!

ـ الوطـــن

ســـُئـــِل أعرابي: ماذا تفعل في البادية، إذا اشتد القيظ، وانتعل كل شيء ظله؟

فقال: وهل العيش إلا ذاك. يمشي أحدنا ميلاً، فيرَفضُّ عرقاً.

ثم ينصب عصاه، ويلقي عليه رداءه. ثم يجلس في فيئه (ظله) يكـــْتال الريح، فكأنه في إيوان كسرى.

ـ الخـادم الفصيـــح

حدّث أبو العيناء قال: كان سبب خروجي من البصرة وانتقالي عنها أنني مررت يومـــاً بسوق النخـــّاسين، فرأيتُ غلامـــاً يـــُنادَى عليه وقد بلغ ثلاثين ديناراً، فاشتريته.

وكنت أبني داراً، فدفعتُ إليه عشرين ديناراً على أن ينفقها على الصناع، فجاءني بعد أيام يسيرة فقال: قد نفدت النفقة.

فقلت: هاتِ حسابك! فرفع حسابـــاً بعشرة دنانير.

قلت: أين الباقي؟

قال: قد اشتريت به لنفسي ثوبـــاً.

قلت: من أمرك بهذا؟

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قال: لا تعجل يا مولاي، فإن أهل المروءة لا يعيبون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعود بالزَّين على مواليهم!

فقلت في نفسي: أنا اشتريت الأصمعيّ ولـــَمْ أَعلم!

وكانت هناك امرأة أردت أن أتزوجها سرّا من ابنة عمي. فقلت له يومـــاً: أفيك خير؟

قال: إي لعمري. فأطلعته على الخبر.

فقال: أنا نـــعِم العـــَون لك. فتزوجتُ المرأة ودفعتُ إليه ديناراً،

وقلت له: اشترِ لنا به بعض السمك الهازبي. فمضى ورجع وقد اشترى سمكـــاً من صنف آخر.

فغاظني ذلك وقلت: ألم آمرك أن تشتري من السمك الهازبي؟

قال: بلى، ولكن الطبيب أبقراط كتب يقول إن الهازبي يولـــِّد السوداء، وهذا سمك أقل غائلة!

فقلت: يا ابن الفاعلة! أنا لم أعلم أني اشتريت جالينوس!

وقمتُ عليه فضربته عشر مقارع.

فلما فرغتُ من ضربه أخذني وأخذ المقرعة وضربني سبع مقارع،

وقال: يا مولاي، الأدب ثلاث، والســـَّبـــْع فضل، وذلك قصاص، فضربتك هذه الســـَّبع خوفـــاً من القصاص يوم القيامة!

فغاظني هذا، فرميته فشججته، فمضى من وقته إلى ابنة عمي،

فقال لها: يا مولاتي، إن الدّين النصيحة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: مـــَنْ غـــَشـــَّنا فليس منا. وأنا أُعـــْلمك أن مولاي قد تزوج فاستكتمني، فلما قلت له لا بدّ من تعريف مولاتي الخبر ضربني وشجـــّني.

فمنعتني بنت عمي من دخول الدار، وحالت بيني وبين ما فيها، فلم أر الأمر يصلح إلا بأن طلقت المرأة التي تزوجتها.

وقلت في نفسي: أعتقه وأستريح، فلعله يمضي عني.

فلما أعتقته لزمني

وقال: الآن وجب حقـــُّك عليّ. ثم إنه أراد الحج، فجهـــّزته وزوّدته وخرج. فغاب عني عشرين يومـــاً ورجع.

فقلت له: لـــِمَ رجعت؟

فقال: فكرت وأنا في الطريق فإذا الله تعالى يقول: (ولله على الناس حـــِجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً)، وكنتُ غير مستطيع، وفكرت فإذا حقك أوجب، فرجعت!

ثم إنه أراد الغزو، فجهـــّزته، فلما غاب عني بعتُ كل ما أملك بالبصرة من عقار وغيره، وخرجت عنها خوفـــاً من أن يرجع!

من كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" لابن الجوزي

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ـ التجمُّل في المسألــة

كان عبد الرحمن الداخل ببعض مجالسه، فمثل بين يديه رجل من جند قــِنسرين يستجديه، فقال: يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الأكرمين، إليك فررت، وبك عذت، من زمن ظلوم، ودهر غشوم، قلَّ المال وكثر العيال، وشعث الحال فصيــَّر إلى نداك المآل، وأنت ولي الحمد والمجد، والمرجوُّ للرِّفد،

فأجابه عبد الرحمن على الفور: سمعنا مقالتك، وقضينا حاجتك، وأمرنا بعونك، على دهرك، على كرهنا لسوء مقالك فلا تعودَنَّ ولا سواك لمثله، من إراقة ماء وجهك، بتصريح المسألة، والإلحاف في الطلبة، وإذا ألمّ بك خطب أو مر بك أمر، فارفعه إلينا في رُقعة لا تعدوك، كيما تستر عليك خلتك وتكف شماتة العدو عنك،

بعد رفعك لها إلى مالكك ومالكنا عز وجل، بإخلاص الدعاء، وصدق النية.

ـ الدّليل على قوة النفس

مِمَّا يُكرَهُ للملوك المبالغةُ في الميل إلى النّساء، والانهماك في محبّتهن، وقطع الزمان بالخلوة معهن. فأما مشاورتهن في الأمور فمجلبةٌ للعجز، ومدْعاة إلى الفساد، ومَنْبهة على ضعف الرأي، اللهم إلا أن تكون مشاورتهن يراد بها مخالفتهن،

كما قال عليه السلام: "شاوروهنّ وخالفوهن"!

فإذا أشكل عليكم الصواب فشاوروهنّ، فإذا مِلْنَ إلى شيء فاعلموا أن الصواب في خلافه.

وقد حَدَثَ أن عضدَ الدولة فَنّاخُسْرَوْ بن بُوَيْه شغفته امرأة من جواريه حباً، وغلب عليه، فاشتغل بها عن تدبير المملكة حتى ظهر الخلل في مملكته، فخلا به وزيرُه

وقال له: أيها الملك، إن هذه الجارية قد شغلتك عن مصالح دولتك حتى لقد تطرّق النقص عليها من عدّة جهات.

وما سبب ذلك إلا اشتغالك عن إصلاح دولتك بهذه المرأة.

والصواب أن تتركها وتلتفت إلى إصلاح ما فسد.

وبعد أيام جلس عضد الدولة على مُشْتَرَف له على دجلة، واستدعى الجارية فحضرت.

فشاغلها ساعة حتى غفلت عن نفسها ثم دفعها إلى النهر فغرقت.

وتفرّغ خاطرُه من حبها واشتغل بإصلاح أمور دولته.

وقد نسب الناس هذا الفعل من عضد الدولة إلى قوة النفس حين قويتْ نفسه على قتل محبوبته.

وأنا أستدلّ بهذا الفعل على ضعف نفس عضد الدولة لا على قوّتها، فلو أنه تركها حيّة ثم أعرض عنها لكان ذلك هو الدليل على قوّة نفسه.

من كتاب "الفخري" لابن طباطبا.

ـ الحداّة وصرة المال

من أخبار المنصور بن أبي عامر مؤسس الدولة العامرية بالأندلس أن رجلاً من تجار المشرق قصد

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

المنصور من مدينة عدن بجوهر كثير وأحجار نفيسة.

فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنه، ودفع إلى الجوهري التاجر صرّة مال.

وأخذ التاجر في انصرافه طريق الرّملة على شط النهر، فلما توسطها، واليوم قائظ وعرقه منصبّ، دَعَته نفسُه إلى التبرُّد في النهر.

فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط، فمرّت حدأة فاختطفت الصرة تحسبها لحماً، وصاعدت في الأفق بها ذاهبة.

ورآها التاجر فقامت قيامته، وعلم أنه لا يقدر أن يستدفع ذلك بدعوى ولا بحيلة، واشتد به الحزن.

وعاد إلى المنصور فأعلمه بقصته.

فقال المنصور له:

هل تذكر الناحية التي طارت الحدأة إليها؟

قال: نعم،

مرّت مشرّقة عل سمت هذا الجنان الذي يلي قصرك (يعني الرّملة).

فدعا المنصور شرطيّه الخاصّ به فقال له:

جئني بمشيخة أهل الرملة. فمضى وجاء بهم. فأمرهم بالبحث عمن تغيّر حاله من الفقر سريعاً وانتقل عن الإضاقة دون تدريج.

فولّوا ثم عادوا فقالوا:

يا مولانا، ما نعلم إلا رجلاً من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بأيديهم، ويعجز عن شراء دابة، رأيناه قد اكتسى هو وولده كسوة متوسطة.

فأمر المنصور بإحضاره. فلما أُتي به،

قال له:

شيء ضاع منا وسقط إليك، ما فعلت به؟

فقال: هو ذا يا مولاي. وضرب بيده إلى حجزة سراويله فأخرج الصرة بعينها.

فصاح التاجر طرباً وكاد يطير فرحاً.

قال المنصور للرجل: خبِّرني بما حدث.

قال: بينما أنا أعمل في بستان تحت نخلة، إذ سقطت أمامي، فأخذتها وراقني منظرها، وقلت في نفسي: إن الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار، فاحترزت بها ودعتني فاقتي إلى أخذ عشرة دنانير منها وقلت: أقلُّ ما يكون من كرم مولاي أنه يسمح لي بها.

فقال المنصور للتاجر: خذ صرّتك وانظرها واصدقني عن عددها. ففعل،

وقال: وحق رأسك يا مولاي ما ضاع منها سوى الدنانير العشرة التي ذكرها، وقد وهبتها له.

فقال المنصور له: نحن أولى بذلك منك، ولا ننغص عليك فرحتك.

ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضاً عن دنانيره، وللرجل بعشرة دنانير أخرى،

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وقال له: لو جئتنا قبل البحث عنك لكان ثوابك موفوراً! فأخذ التاجر في الثناء على المنصور وقد عاوده نشاطه،

وقال: والله لأبُثَّنَّ في الأقطار عظيمَ مُلكك، ولَأقولَنّ إنك تملك طير بلادك كما تملك إنْسَها!

من كتاب "البيان المغْرب في أخبار المغرب" لابن عذارى المراكشي.

ـ الشجـرة

استودع رجلٌ رجلاً آخر مالاً، ثم طالبه به فأنكره. فخاصمه إلى إياس بن معاوية القاضي،

وقال: دفعتُ إليه مالاً في الموضع الفلاني.

قال إياس: فأيّ شيء كان في ذلك الموضع؟

قال: شجرة.

قال: فانطلق إلى ذلك الموضع، وانظر إلى تلك الشجرة، فلعلّ الله يوضِّحُ لك هناك ما تُبَيِّنُ به حقَّك. أو لعلك دفنت مالك عند الشجرة ثم نسيتَ، فتتذكّر إذا رأيتَ الشجرة. فمضى.

وقال إياس للمُطالَب بالمال: اجلس حتى يرجعَ صاحبُك.

فجلس، وانشغل إياس عنه بالنظر في قضايا الناس، وهو ينظر إليه بين الحين والحين. ثم التفت إياس إليه فجأة

وقال: تُرى هل بلغ صاحبك الآن موضع الشجرة؟

فأجاب الرجل: لا أظن، فهي بعيدة.

فقال: يا عدوّ الله، هات المال فقد أقررتَ على نفسك!

من كتاب "المحاسن والمساوئ" للبيهقي.

ـ العالِمُ والخليفـة

قال أبو القاسم بن مـُفـَرِّج: كنت في بعض الأيام عند الفقيه أبي إبراهيم في مجلسه بالمسجد في قرطبة، ومجلسه حافل بجماعة الطلبة،

إذ دخل عليه خصيّ من أصحاب الرسائل جاء من عند الخليفة الحـَكم ابن الناصر. فوقف وسلّم وقال له: أجب أمير المؤمنين، فهو قاعد ينتظرك، وقد أُمرتُ بإعجالك فالله الله.

فقال أبو إبراهيم: سمعـاً وطاعة لأمير المؤمنين، ولا عـَجـَلـَة. فارجع إليه وعرِّفه أنك وجدتني مع طلاب العلم، وليس يمكنني ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس فأمضي إليه.

فانصرف الخصيّ وهو يتمتم متضاجراً بكلام لم نسمعه. فما مضت ساعة حتى رأيناه قد عاد

فقال للفقيه: أنهيتُ قولك إلى أمير المؤمنين،

وهو يقول لك: "جزاك الله خيرًا عن الدين وجماعة المسلمين وأمتعهم بك. وإذا أنت فرغتَ فامض إليه."

قال أبو إبراهيم: حسن. ولكني أَضـْعـُفُ عن المشي إلى باب السـُّدّة، ويصعب عليّ ركوب دابة لشيخوختي وضعف أعضائي. وبابُ الصناعة هو من بين أبواب القصر أقربها من مكاننا هذا. فإن

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

رأى أمير المؤمنين أن يأمر بفتحه لأدخل منه هوّن عليّ المشي.

فمضى الفتى ثم رجع بعد حين وقال: قد أجابك أمير المؤمنين إلى ما سألت، وأمر بفتح باب الصناعة، وأمرني أن أبقى معك حتى ينقضي الدرس وتمضي معي.

وجلس الخصي جانبـاً حتى أكمل أبو إبراهيم مجلسه بأكمل ما جرت به عادته ودون قلق. فلما انفضضنا عنه قام إلى داره فأصلح من شأنه ثم مضى إلى الخليفة الحكم.

قال ابن مفرّج: ولقد تعمـّدنا إثر قيامنا عن الشيخ أبي إبراهيم المرور بباب الصناعة فوجدناه مفتوحـاً وقد حفـّه الخدم والأعوان متأهبين لاستقبال أبي إبراهيم، فاشتدّ عجبنا لذلك وقلنا: هكذا يكون العلماء مع الملوك والملوك مع العلماء، قدّس الله تلك الأرواح.

من كتاب "نـَفـْح الطيب" للمـَقـَّري التلمساني.

ـ الأصمعي والبقّال

عن الأصمعي قال: كنت بالبصرة أطلب العلم، وأنا فقير. وكان على باب زقاقنا بقّال، إذا خرجتُ باكرا يقول لي إلى أين؟ فأقول إلى فلان المحدّث.

وإذا عدت مساء يقول لي: من أين؟ فأقول من عند فلان الإخباريّ أو اللغويّ.

فيقول البقال: يا هذا، اقبل وصيّتي، أنت شاب فلا تضيّع نفسك في هذا الهراء، واطلب عملا يعود عليك نفعه وأعطني جميع ما عندك من الكتب فأحرقها.

فوالله لو طلبت مني بجميع كتبك جزرة، ما أعطيتُك! فلما ضاق صدري بمداومته هذا الكلام، صرت أخرج من بيتي ليلا وأدخله ليلا، وحالي، في خلال ذلك، تزداد ضيقا، حتى اضطررت إلى بيع ثياب لي، وبقيت لا أهتدي إلى نفقة يومي، وطال شعري، وأخلق ثوبي، واتّسخ بدني.

فأنا كذلك، متحيّرا في أمري، إذ جاءني خادم للأمير محمد بن سليمان الهاشمي فقال لي: أجب الأمير.

فقلت: ما يصنع الأمير برجل بلغ به الفقر إلى ما ترى؟

فلما رأى سوء حالي وقبح منظري، رجع فأخبر محمد بن سليمان بخبري، ثم عاد إليّ ومعه تخوت ثياب، ودرج فيه بخور، وكيس فيه ألف دينار،

وقال: قد أمرني الأمير أن أُدخلك الحمام، وأُلبِسك من هذه الثياب وأدع باقيها عندك، وأطعِمك من هذا الطعام، وأبخّرك، لترجع إليك نفسك، ثم أحملك إليه.

فسررت سرورا شديدا، ودعوتُ له، وعملتُ ما قال، ومضيت معه حتى دخلت على محمد بن سليمان. فلما سلّمتُ عليه، قرّبني ورفعني ثم

قال: يا عبد الملك، قد سمعت عنك، واخترتك لتأديب ابن أمير المؤمنين، فتجهّز للخروج إلى بغداد. فشكرته ودعوت له، وقلت: سمعا وطاعة. سآخذ شيئا من كتبي وأتوجّه إليه غدا.

وعدت إلى داري فأخذت ما احتجت إليه من الكتب، وجعلتُ باقيها في حجرة سددتُ بابها، وأقعدت في الدار عجوزا من أهلنا تحفظها.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فلما وصلت إلى بغداد دخلت على أمير المؤمنين هارون الرشيد.

قال: أنت عبد الملك الأصمعي؟

قلت: نعم، أنا عبد أمير المؤمنين الأصمعي.

قال أعلم أن ولد الرجل مهجة قلبه. وها أنا أسلم إليك ابني محمدا بأمانة الله. فلا تعلمه ما يُفسد عليه دينه، فلعله أن يكون للمسلمين إماما.

قلت: السمع والطاعة. فأخرجه إليّ، وحُوِّلْتُ معه إلى دار قد أُخليت لتأديبه، وأجرى عليّ في كل شهر عشرة آلاف درهم. فأقمت معه حتى قرأ القرآن، وتفقّه في الدين، وروي الشعر واللغة، وعلم أيام الناس وأخبارهم.

واستعرضه الرشيد فأُعجب به وقال: أريد أن يصلي بالناس في يوم الجمعة، فاختر له خطبة فحفِّظْه إياها.

فحفّظتُه عشرا، وخرج فصلى بالناس وأنا معه، فأعجب الرشيد به وأتتني الجوائز والصلات من كل ناحية، فجمعت مالا عظيما اشتريت به عقارا وضياعا وبنيت لنفسي دارا بالبصرة.

فلما عمرت الدار وكثرت الضياع، استأذنتُ الرشيد في الانحدار إلى البصرة، فأذن لي. فلما جئتها أقبل عليّ أهلها للتحية وقد فَشَتْ فيهم أخبار نعمتي.

وتأمّلت من جاءني، فإذا بينهما البقال وعليه عمامة وسخة، وجبّة قصيرة.

فلما رآني صاح: عبد الملك! فضحكت من حماقته ومخاطبته إيّاي بما كان يخاطبني به الرشيد

ثم قلت له: يا هذا! قد والله جاءتني كتبي بما هو خير من الجَزَرَة!

من كتاب "الفرج بعد الشدة" للتنوخي

ـ الأسد والخنزير

لما حاصر أبو جعفر المنصورُ ابنَ هبيرة،

قال: إن ابن هبيرة يُخَنْدِقُ على نفسه مثل النساء! فبلغ ذلك ابن هبيرة،

فأرسل إلى المنصور: "أنت القائلُ كذا وكذا؟ فاخرج إليّ لتبارزني حتى ترى."

فكتب إليه المنصور: "ما أجد لي ولك مثلاً في ذلك إلا كأسد لقى خنزيراً،

فقال له الخنزير: بارِزْني!

فقال الأسد: ما أنت لي بكفء، فإن نالني منك سوء كان ذلك عاراً عليّ وإن قتلتُك قَتَلْتُ خنزيراً فلم أحصل على حَمْد ولا في قتلي لك فخر.

فقال له الخنزير: إن لم تبارزني لأعَرِّفَنَّ السباعَ أنك جَبُنْتَ عني.

فقال الأسد: احتمالُ عارِ كَذِبك أيسرُ من تلويث راحتي بدمك.

من كتاب "حياة الحيوان الكبرى" للدميري.

ـ الأخوان والحيّة

حجّ الخليفة عبد الملك بن مروان في بعض أعوامه، فخطب في أهل المدينة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وقال: مَثَلُنَا ومَثَلُكم أنّ أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين، فنزلا في ظلّ شجرة. فلما دنا الرّواح خرجت إليهما حيّة تحمل دينارًا فألقته إليهما،

فقالا: إن هذا لَمِنْ كنز. فأقاما عليها ثلاثة أيام، كل يوم تُخرج إليهما دينارًا.

فقال أحدهما لصاحبه: إلى متى ننتظر هذه الحية؟ ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه؟ فنهاه أخوه وقال له: ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال.

فأبى عليه، وأخذ فأسًا معه، ورَصَد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها. فثارت الحية فقتلته، ورجعت إلى حجرها.

فقام أخوه فدفنه، وأقام حتى إذا كان من الغد، خرجت الحية معصوبًا رأسها ليس معها شيء.

فقال لها: يا هذه، إني واللّه ما رضيتُ ما أصابك، ولقد نهيتُ أخي عن ذلك. فهل لكِ أن نجعل اللّه بيننا أن لا تضرّيني ولا أضرّك، وترجعين إلى ما كنتِ عليه؟

قالت الحيّة: لا.

قال: ولم ذلك؟

قالت: إني لأعلم أن نفسك لا تطيب لي أبدًا وأنت ترى قبر أخيك، ونفسي لا تطيب لك أبدًا وأنا أذكر هذه الشَّجَّة.

فيا أهل المدينة، ولِيَكُم عمر بن الخطاب فكان فظّا غليظًا مُضَيِّقًا عليكم، فسمعتم له وأطعتم.

ثم وليكم عثمان فكان سهلاً ليّنًا كريمًا فَعَدَوْتم عليه فقتلتموه.

وبعثْنا عليكم مُسْلِمًا يوم الحَرَّة فَقَتَل منكم مَنْ قتل.

فنحن نعلم أنكم لا تحبوننا أبدًا وأنتم تذكرون يوم الحَرَّة،

ونحن لا نحبّكم أبدًا ونحن نذكر مقتل عثمان.

من كتاب "مروج الذهب" للمسعودي.

ـ حَجَر الذّباب

حدّث رجل خراساني من بعض أصحاب الصّنعة، ممن كان يعرف بالأحجار الخواصيّة،

قال: اجتزت ببائع في الطريق بمصر، فرأيت عنده حجرًا أعرفه، يكون وزنه خمسة دراهم، مليح المنظر.

وكنت أعرف أن خاصيته في طرد الذباب، وكنت في طلبه منذ سنين كثيرة.

فحين رأيته ساومته فيه، فاستام عليَّ به خمسة دراهم، فلم أماكسه ودفعتها إليه.

فلما حصلت في يده، وحصل الحجر في يدي، أقبل يسخر مني

ويقول: يجيء هؤلاء الحمير لا يدرون إيش يعطون، ولا إيش يأخذون! هذه الحصاة رأيتها منذ أيام مع صبي، فوهبت له دانق فضّة وأخذتها، وقد اشتراها هذا الأحمق مني بخمسة دراهم!

فرجعت إليه وقلت له: يجب أن أعرّفك أنك أنت الأحمق، لا أنا.

قال: كيف؟

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قلت: قم معي حتى أعرّفك ذلك. فأقمته ومضينا حتى اجتزنا ببائع يبيع التمر في قصعة، والذّباب محيط بها.

فنحّيت الرجل بعيدًا من القصعة، وجعلت الحجر عليها، فحين استقرَّ عليها طار جميع الذباب وتركته ساعة وهي خالية من الذباب، ثم أخذت الحجر، فرجع الذباب. ثم رددته فصار وفعلت ذلك ثلاث مرات.ثم خبّأت الحجر،وقلت: يا أحمق، هذا حجر الذباب، وقد قدمت في طلبه من خراسان، يجعله الملوك عندنا على موائدهم فلا يقربها الذباب، ولا يحتاجون إلى مذبّة ولا إلى مروحة.

واللّه لو لم تبعني إيــّاه إلا بخمسمائة دينار لاشتريته منك! فشهق شهقة قدّرت أنه تَلف، ثم أفاق منها بعد ساعة وافترقنا.

من كتاب "تشوار المحاضرة" للتنوخي

ـ حذاء أبي القاسم

كان لأبي القاسم الطُّنْبوري حذاء لبسه سبع سنين، كلما تَقَطّع منه موضع جعل مكانه رقعةً إلى أن صار في غاية الثِّقل، وصار الناسُ يضربون به المثل.

واتفق أنه دخل يوما سوق الزُّجاج،

فقال له سمسار: يا أبا القاسم، قد قدِم إلى بغداد اليوم تاجرٌ من حَلَب، ومعه حِمْلُ زجاج مُذَهّب قد كَسَدَ. فاشتَرِه منه وأنا أبيعه لك بعد مدة فتكسِبُ به المثل مِثلَين.

فمضى أبو القاسم واشتراه بستين دينارا. ثم إنه دخل إلى سوق العطارين،

فصادفه سمسار آخر وقال له: يا أبا القاسم، قد قَدِم إلينا اليوم من نَصيبين تاجر يبيع ماء ورد. ولِعَجَلَةِ سفره يمكن أن تشتريه منه رخيصًا، وأنا أبيعه لك فيما بعد فتكسِبُ به المثل مِثلين.

فاشتراه أبو القاسم بستين دينارا أخرى، وملأ به الأواني الزجاجية المذهبة، ووضعها على رف من رفوف بيته.

ثم إنه دخل الحمام يغتسل، فقال له بعض أصدقائه: يا أبا القاسم، غَيِّر حذاءك هذا فإنه في غاية الشناعة. وأنت ذو مال بحمد الله.

فقال له أبو القاسم: الحق معك. ثم إنه خرج من الحمام ولبس ثيابه، فرأى بجانب حذائه حذاء آخر جديدا.

فظن أن صديقه من كرمه قد اشتراه هدية له، فلبسه ومضى إلى بيته. وكان ذلك الحذاء الجديد للقاضي، وقد جاء في ذلك اليوم إلى الحمام.

فلما خرج فتّش عن حذائه فلم يجده. فسأل الناس: ألم يترك من لبس حذائي عوضه شيئا؟

ففتشوا فلم يجدوا سوى حذاء أبي القاسم، فعرفوه إذ كان يُضرب به المثل.

فأرسل القاضي خدمه فكبسوا بيت أبي القاسم، فوجدوا حذاء القاضي عنده. فأخذوه فضربه القاضي تأديبا له، وحبسه مدة، وغرّمه بعض المال، ثم أطلقه.

وخرج أبو القاسم من الحبس وأخذ حذاءه وهو غضبان عليه، ومضى إلى نهر دجلة فألقاه فيه،

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فغاص في الماء.

وأتى بعض الصيادين ورمى شبكته، فطلع الحذاء فيها! فلما رآه الصياد عرفه، وظن أنه وقع من أبي القاسم في دجلة. فحمله وأتى به بيته فلم يجده.

ونظر فرأى نافذة في البيت مفتوحة فرمى الحذاء منها، فسقط على الرف الذي عليه الأواني الزجاجية فوقع، وتكسّرت الأواني وتبدّد ماء الورد! وجاء أبو القاسم ونظر إلى ما حدث، فلطم وجهه وجعل يبكي ويلعن الحذاء.

ثم إنه قام في الليل ليحفر له حفرة يدفنه فيها ويرتاح منه، فسمع الجيران حسّ الحفر فظنوا أن لصا ينقب عليهم، فقبضوا عليه وأحضروه إلى الحاكم فحبسه، ولم يُطلقه حتى غَرِم بعض المال.

ثم خرج من السجن فحمل حذاءه إلى الخان فرماه في الكنيف، فَسَدَّ قصبتَه ففاض! وضجر الناس من الرائحة الكريهة وبحثوا عن السبب فوجدوا حذاء فتأمّلوه، فإذا هو حذاء أبي القاسم! فحملوه إلى الوالي وأخبروه بما وقع، فوبّخ الوالي أبا القاسم وغرّمه مالا لتصليح الكنيف، ثم أُطلق.

وخرج أبو القاسم والحذاء معه.

وقال في نفسه: والله ما عدتُ أفارق هذا الحذاء! ثم إنه غسله وجعله على سطح بيته حتى يجفّ. فرآه كلب فظنّه رِمَّةً فحمله وعبر به إلى سطح آخر، فسقط الحذاء على رأس رجل في الطريق فآلمه وجرحه جرحا بليغا.

وفتشوا لمن الحذاء فعرفوا أنه لأبي القاسم! ورفعوا الأمر إلى الحاكم فألزمه بالعِوَض والقيام بلوازم المجروح مُدَّةَ مرضه.

ثم إن أبا القاسم أخذ الحذاء، ومضى به إلى القاضي وقال له: أريد من مولانا القاضي أن يكتب بيني وبين هذا الحذاء مبارأة شرعية على أنه ليس مني ولستُ منه، وأن كلا منا بريء من صاحبه، وأنه مهما يفعله هذا الحذاء لا أؤاخذ أنا به!

من كتاب "مجاني الأدب".

ـ تقويم الكلام

كان بسجستان شيخ يتعاطى النّحو.

فقال يومًا لابنه: إذا أردت أن تتكلم بشيء فاعرضه على عقلك، وفكّر فيه بجهدك حتى تقوّمه، ثم أخرج الكلمة مقوّمة.

فبينما هما جالسان في بعض الأيام في الشتاء، والنار تتـقّد، وقعت شرارة في جُبـَّة خزّ كانت على الأب، وهو غافل والابن يراه. فسكت الابن ساعة يفكـِّر

ثم قال: يا أبت، أريد أن أقول شيئًا، فتأذن لي فيه؟

قال أبوه: إنْ حقـًّا فتكلم. قال: أراه حقـًّا.

فقال: قل. قال: إني أرى شيئًا أحمر.

قال: وما هو؟ قال: شرارة وقعت في جُبـَّتك. فنظر الأب إلى جُبـَّته وقد احترق منها قطعة.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فقال للابن: لِمَ لَمْ تُعْلِمْني سريعًا؟

قال: فكرت فيه كما أمرتني، ثم قــوَّمت الكلام وتكلمت فيه.

فحلف أبوه بالطلاق أن لا يتكلم بالنحو أبدًا.

من كتاب "أخبار الحمقى والمغفلين" لابن الجوزي.

ـ ثـلاث خصـال

يُحكى عن بعض قدماء الملوك أنه كان إذا أراد محاربة ملك، وجّه إلى مملكته عيوناً يبحثون عن أخباره وأخبار رعيته قبل أن يُقدِمَ على محاربته،

ويأمر هؤلاء الجواسيس بالبحث عن ثلاث خصال من أمره،

وهي: أن ينظروا فيما يُرفع إلى هذا الملك من أخبار رعيته، هل هي على حقيقتها، أو أن أصحابه ووزراءه يخدعونه ويكذبون عليه فيها؛

أن يبحثوا عن الغِنى والجاه في أي صنف من الناس هما: في أهل الشرف والعقل، أم في الأنذال؛

أن يبحثوا في أمر المشاورة: هل يستعملها في أموره، أم يمضي الأمور على هواه.

فإن قالوا له عند رجوعهم إن الأمور والأخبار تُرفع إليه على حقيقتها،

وأن الغِنى والجاه لدى أهل الشرف والعقل،

وأنه يستعمل المشاورة، كفّ الملك عن محاربته والطمع في مملكته.

من كتاب "الحكمة الخالدة" لمسكويه.

ـ جارية الفقيـــــه الفـقــيـــــر

كان في مجلس المروروذي الفقيه شابٌ أريب من المتفقّهة.

وحدث أن غاب عن المجلس أياما فلما سأل عنه المروروذي أخبروه أنه مشغول بأمرٍ قطعه عن حضور مجلسه.

فأحضره وسأله عن حاله، فذكر الشاب أنه كان قد اشترى جارية لنفسه، وأن النفقة قد انقطعت به وضاقت يده في تلك السنة لانقطاع الرزق عنه من بلده، و كان عليه دين لجماعة من التجار، فلم يجد سبيلا إلى قضائه غير أن يبيع الجارية.

فلما باعها وتركت داره، تشوّق إليها واستوحش من بُعدها عنه، حتى لم يعد بمقدوره أن يشتغل بفقه أو بغيره من شدة تعلق قلبه بها.

ثم ذكر أن ابن أبي حامد صاحب بيت المال هو الذي اشترى الجارية.

فمضى المروروذي إلى ابن أبي حامد ومعه الشاب.

فحين استأذن عليه أذن له في الحال وقام إلى المروروذي واستقبله وأكرمه غاية الإكرام.

فلما سأله عن حاله وعما جاء له، أخبره المروروذي بخبر الشاب الفقيه وبيعه للجارية، وسأله أن يقبل الذي دفعه فيها ويرد الجارية على صاحبها.

بيد أن ابن أبي حامد لم يكن عنده علم بأمر الجارية.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فقد كانت امرأته اشترتها ولم تخبره بذلك. فاستأذن ضيفيه وقام فدخل على امرأته يسألها عن جارية اشتُريت في سوق النخاسين، وصادف أن امرأته كانت جالسة والجارية حاضرة وهم يصلحون وجهها وقد ألبسوها الثياب الحسان والحلي.

فقالت: ياسيدي هذه هي الجارية التي تسأل عنها. فسرّ بذلك أعظم السرور لرغبته في قضاء حاجة المروروذي،

وعاد إليه فقال: خفت ألا تكون الجارية في داري. وهي بحمد الله عندنا والأمر للشيخ أعزه الله فيها. ثم أمر بإحضار الجارية. فلما جاءت تغير وجه الفتى تغيرا شديدا من فرط حبه لها.

فقال له ابن أبي حامد: هذه جاريتك؟

قال: نعم.

قال: فخذها بارك الله لك فيها.

فدعا له المروروذي وشكره، وأخرج ثلاثة آلاف درهم، وهو الثمن الذي بيعت به الجارية، وسأله قبض المال فأبى ابن أبي حامد أن يأخذه.

قال المروروذي: إنما جئناك نسألك ردّها ولم نقصد أخذها على هذا الوجه.

فقال ابن أبي حامد : هذا رجل فقيه وقد باعها لأجل فقره وحاجته. ومتى استردّها وهو على فقره خيف عليه أن يبيعها ثانية إلى من لا يرضى أن يردّها عليه وقد وهبتُ للجارية ما عليها من الحلي والثياب، فإن احتاج إلى نفقة باع منها.

فلما نهض المروروذي والفتى ليودعاه،

قال ابن أبي حامد: أريد أن أسألها قبل انصرافها معكما عن شيء ...

يا جارية، أيّما أحبّ إليك: نحن أو مولاك هذا؟

فقالت الجارية: يا سيدي، أما أنتم فإني أدعو الله أن يحسن جزاءكم على ما فعلتموه بي ووهبتموني إياه.

وأما مولاي هذا فوالله لو أعطيتموني به الدنيا ما سلوت عنه ولو كان في ملكي وأنا فقيرة لا أجد عندي ما أقتات به، ما بعته بالرغائب العظيمة مثلما باعني.

من كتاب "المنتظم" لابن الجوزي.

ـ المنـام

كان الإخشيد، والي مصر، إذا توفى قائد من قوّاده أو كاتب، صادر ورثته وأخذ أموالهم.

وكذلك كان يفعل مع التجار المياسير.

ثم حدث أن قبض على أبي بكر الماذرائي وأبى أن يطلقه حتى يدفع له ما مبلغه ثلاثة وثلاثون أردبا دنانير.

فما صار الماذرائي في الحبس حتى وقع أمر عجيب.

وذلك أن رجلاً من أهل العراق صعد فوق زمزم بمكة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وصاح: معاشر الناس، أنا رجل غريب، وقد رأيت البارحة في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لي: سِرْ إلى مصر والقَ الإخشيد، وقل له عني أن يطلق أبا بكر الماذرائي.

ثم سار الرجل ووصل إلى مصر.

فلما بلغ الإخشيد خبره، أحضره

وقال له: إيش رأيت؟

فأخبره.

فقال الإخشيد: كم أنفقت في مسيرك إلى مصر؟

قال: مائة دينار.

فقال: هذه مائة دينار من عندي، وعد إلى مكة، ونم في الموضع الذي رأيت فيه رسول الله، فإذا رأيته فقل له: قد أديت رسالتك إلى الإخشيد

فقال: إذا دفع الماذرائي لي ثلاثة وثلاثين أردبا دنانير أطلقه.

فقال له الرجل: ليس في ذكر رسول الله هزل. وأنا أخرج إلى المدينة وأنفق من مالي، وأسير إلى رسول الله وأقف بين يديه يقظان بغير منام،

وأقول له: يا رسول الله، أدّيت رسالتك إلى الإخشيد فقال لي كذا وكذا. وقام الرجل، فأمسكه الإخشيد وقال: قد صرنا الآن في الجدّ، وإنما ظننتك في البدء كاذباً.

فلا تبرح حتى أطلق الماذرائي من حبسه.

من كتاب "الاغتباط في حلي مدينة الفسطاط" لابن سعيد الأندلسي.

ـ حوار طريف

حُكي أن أعرابياً مرَّ بآخر

فقال له: من أين أقبلت يا ابن عم؟

فقال: من الثَّنية،

قال: هل أتيتنا بخير؟

فقال: سل عما بدا لك.

قال: كيف علمك بحيي؟

قال: أحسن العلم.

قال: هل لك علم بكلبي نَفاع.

قال: حارس الحي؟

قال: فبأم عثمان.

قال: ومن مثل أم عثمان؟

قال: فبعثمان؟

قال: وأبيك إنه جرو الأسد.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قال: فبجملنا السقاء؟

قال: والله إن سنامه ليخرج من الغبيط.

قال: فبالدار؟

قال: وأبيك إنها لخصيبة الجناب عامرة الفناء،

ثم قام عنه ناحية وقعد يأكل ولا يدعوه، فمر كلب فصاح به،

وقال: يا ابن العم أين هذا الكلب من نفاع.

قال: يا أسفا على نفاع. مات.

قال: وما أماته؟

قال: أكل من لحم الجمل السقاء فاغتص بعظم منه فمات.

قال: إنا لله، أو قد مات الجمل، فما أماته؟

قال: عثر بقبر أم عثمان فانكسرت رجله.

فقال: ويلك أماتت أم عثمان؟

قال: أي والله علمت أنه أماتها لأسف على عثمان.

قال: ويلك أمات عثمان؟

قال: أي وعهد الله قد سقطت عليه الدار.

فرمى الأعرابي بطعامه، وأخذ ينتف لحيته،

ويقول إلى أين أذهب؟

فيقول الآخر: إلى النار،

وجعل يلتقط الطعام ويأكله ويهزأ به ويضحك

ويقول: لا أرغم الله إلا أنف اللئام.

ـ كُتُب وليّ العهد

اختارني نصر الحاجب مؤدباً لوليّ عهد الخليفة المقتدر (وهو الراضي)، فرأيته ذكياً فطناً عاقلاً إلا أنه خالٍ من العلوم فحبّبت العلم إليه، واشتريت له من كتب الفقه والشعر واللغة والأخبار قطعةً حسنة. وقرأ علّي من كتب اللغة كتباً كثيرة منها "خلق الإنسان " للأصمعيّ.

فمضى خَدَمٌ سمعوا ذلك إلى المقتدر وإلى والدته

فقالوا لهما: إن الصولي يعلّمه أسماء الفرج والذّكر! فدعا المقتدر نصر الحاجب فعرّفه ذلك.

ودعاني نصر – وكان من أحسن الناس عقلاً – فسألني عن ذلك، فعرّفته أن هذا من العلوم التي لا بد للفقهاء والقضاة منها،

فقال: جئني بالكتاب. فجئته به. فأخذه وأدخله إلى المقتدر وعرّفه ما عرّفته. وإني لأذكر يوماً وهو يقرأ علّي شيئاً من شعر بشّار، وبين يديه كتب لغة وكتب أخبار، إذ جاء خدم من خدم جدّته السيدة، فأخذوا جميع ما بين يديه من الكتب، فجعلوه في منديل كبير كان معهم، وما كلّمونا بشيء،

ومضوا. فرأيته قد وجم لذلك واغتاظ، فسكّنت منه

وقلت له: ليس ينبغي أن يُنكر الأمير هذا، فإنه يقال لهم إن الأمير ينظر في كتب لا ينبغي أن ينظر في مثلها، فأحبوا أن يمتحنوا ذلك. وقد سرّني هذا ليروا كل جميل حسن. ومضت ساعات أو نحو ذلك، ثم ردّوا الكتب بحالها. فقال لهم الراضي: قولوا لمن أمركم بهذا: قد رأيتم هذه الكتب، وإنما هي حديث وفقه وشعر ولغة وأخبار وكتب العلماء، وليست من كتبكم التي تمترحونها مثل عجائب البحر وحديث سندباد والسنور والفأر! وخفت أن يؤدي الخادم قوله فيقال: من كان عنده؟ فيذكرني، فيلحقني من ذلك ما أكره. فقمت إلى الخدم فسألتهم ألا يعيدوا قوله، فقالوا: والله ما فهمناه، فكيف نعيده؟!

من كتاب "الأوراق" للصولي.

ـ كتمـان المعـروف

أراد جعفر البرمكي يومًا حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي.

فدفع إلى خادم له كيسًا فيه ألف دينار،

وقال له: سأنزل إلى الأصمعي، وسيحدّثني ويضحكني فإذا رأيتني قد ضحكت فضع الكيس بين يديه. فلما دخل رأى جَرَّة مكسورة العُروة، وقَصعةً مُشَعَّبة، ورآه على مُصَلّى بالٍ، وعليه بركان أجرد.

فغمز جعفر غلامه بعينه ألا يضع الكيس بين يديه، ولا يدفع إليه شيئًا.

فلم يدع الأصمعي شيئًا مما يُضحك الثكلان والغضبان إلا أورده عليه، فما تبسَّم جعفر.

فقال له إنسان: ما أدري من أي أمرَيك أعجب:

أمِن صبرك على الضحك وقد أورد عليك ما لا يُصبر على مثله،

أم من تركك إعطاءه وقد كنتَ عزمتَ على إعطائه؟

قال جعفر: ويلك! إني واللّه لو علمتُ أنه يكتُم المعروف بالفعل لما احتفلتُ بنشره له باللسان.

وأين يقع مديحُ اللسان من مديح آثار الغنى على الإنسان؟

فاللسان قد يكذب، والحالُ لا تكذِب.

فلستُ بعائد إلى هذا بمعروفٍ أبداً.

من كتاب "البخلاء" للجاحظ

ـ رغيـف بألف دينـار

في أيام المستنصر الفاطمي، وقع بمصر الغلاء الذي فَحُش أمرُه، وشنع ذكره.

وكان أمده سبع سنين، وسببه ضعف السلطنة، واختلال أحوال المملكة، واستيلاء الأمراء على الدولة، واتصال الفتن بين العربان، وقصور النيل..

وقد استولى الجوع لعدم القوت حتى بيع الإردب من القمح بثمانين دينارًا، وأُكِلت الكلاب والقطط، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير.

وتزايدت الحال حتى أكل الناسُ بعضهم بعضًا.

وكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ومعهم حبال فيها كلاليب، فإذا مرَّ بهم أحد ألقوها عليه، ونشلوه في أسرع وقت، وشرّحوا لحمه وأكلوه. وجاء الوزير يومًا إلى الخليفة على بغلته، فأكلتها العامة، فشنق طائفة منهم، فاجتمع عليهم الناس فأكلوهم.

ومن غريب ما وقع أن امرأة من أرباب البيوتات أخذت عِقدًا لها قيمته ألف دينار، وعرضته على جماعة في أن يعطوها به دقيقًا.

وكان يُعتَذَرإليها إلى أن رحمها بعض الناس، وباعها به كيس دقيق.

فلما أخذته أعطت بعضه لمن يحمله ويحميه من النهّابة في الطريق.

فلما وصلت إلى باب زويلة، تسلّمته من الحُماة له ومشت قليلاً. فتكاثر الناس عليها وانتهبوه نهبًا.

فأخذت هي أيضًا مع الناس من الدقيق ملء يديها، لم ينُبها غيره.

ثم عجنته وشوته، فلما صار قرصة أخذتها معها، وتوصّلت إلى أحد أبواب القصر، ووقفت على مكان مرتفع، ورفعت القرصة على يديها بحيث يراها الناس،

ونادت بأعلى صوتها: يا أهل القاهرة!

ادعوا لمولانا المستنصر الذي أسعد اللّهُ الناسَ بأيامه حتى تقوّمت عليّ هذه القرصة بألف دينار!

من كتاب"إغاثة الأمــّة بكشف الغُمـــَّة" للمقريزي.

ـ شَـرْطُ نظْمِ الشِّـعر

استأذن أبو نواس خلفًا الأحمر في نظم الشعر،

فقال له: لا آذن لك في عمل الشعر إلا أن تحفظ ألف مقطوع للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة.

فغاب عنه مدة وحضر إليه،

فقال له: قد حفظتُها.

فقال له خلف الأحمر: أَنشِدْها.

فأنشده أكثرها في عدة أيام.

ثم سأله أن يأذن له في نظم الشعر،

فقال له: لا آذن لك إلا أن تنسى هذه الألف أرجوزة كأنك لم تحفظها.

فقال له: هذا أمرٌ يصعب عليَّ، فإني قد أتقنت حفظها.

فقال له: لا آذن لك إلا أن تنساها.

فذهب أبو نواس إلى بعض الأديرة، وخلا بنفسه، وأقام مدّة حتى نسيها.

ثم حضر فقال: قد نسيتها حتى كأن لم أكن حفظتها قط.

فقال له خلف: الآن انظم الشِّعر!

من كتاب "أخبار أبي نواس" لابن منظور.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ـ شكايـة صريحــة

قدم أمير المؤمنين المنصور مكة حاجاً، فكان يخرج للطواف ليلاً، وبينما هو يطوف إذ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع،

فاستدعاه المنصور وسأله: ما هذا الذي تقوله؟ لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني، فأجابه الرجل: إنما عنيتك بقولي، وقصدتك لا سواك،

قال المنصور: وكيف يدخلني الطمع، والصفراء والبيضاء في يدي، والحــُلو والحامض في قبضتي،

قال الرجل: وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم، فأغفلت أمورهم، واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجاباً، واتخذت لك أعواناً ووزراء ظلمة آثمين، إن نسيت لم يذكروك، وإن ذكرت لم يعينوك، وقويتهم على ظلم رعيتك، وابتزاز أموالهم، فلما رأتك حاشيتك هذه قد استخلصت أفرادها لنفسك، وآثرتهم على أمتك، قالوا هذا خان الله، فلماذا لا نخونه؟ فأتمروا على ألا يصل إليك شيء من أخبار الناس، إلا ما أرادوا، ولا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمراً إلا أقصوه، حتى امتلأت بلاد الله بالطمع بغياً وفساداً، وأنت تنظر ولا تنكر، وترى ولا تغير، فماذا تقول إذا انتزع الملك الحق المبين الدنيا من يدك، ودعاك إلى الحساب؟ هل يغني عنك عنده شيء مما كنت فيه؟

فبكى المنصور حتى نــَحــِب، ثم زهد وتنسك، واستبدل بحاشيته الأئمة الأعلام المرشدين، فصلحت بهم الرعية واستقامت أمورهم.

ـ حيّـات الوزيـر

كان جعفر بن الفضل بن الفرات الوزير بمصر والمعروف بابن حنزابة،

يهوى النظر إلي الأفاعي والحيّات والعقارب وما يجري مجراها من الحشرات.

وكان في داره قاعة لطيفة فيها سلل الحيّات،

ولها قَيِّم فرّاس هو حاوٍ من الحواة ومعه مستخدمون.

وكان كل حاوٍ في مصر وأعمالها يصيد له منها ما يقدر عليه، والوزير يثيبهم ويبذل لهم الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها.

وكان له وقت يجلس فيه على دكّة مرتفعة، ويدخل المستخدمون والحواة، فيخرجون ما في السلل ويطرحونه على الرخام، وهو يتفرج ويتعجب ويستحسن.

وفي أحد الأيام بعث ابن حنزابة إلى ابن المدّبر الكاتب ــ وكان يسكن إلى جوار دار الوزير ــ رقعة يقول له فيها:

"تُعلم الشيخ الجليل ــ أدام الله سلامته ــ أنه لما كان البارحة عرض علينا الحواة الأفاعي

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

والحشرات.

فانساب منها وتسلل إلى داركم الحيّة البتراء وذات القرنين والعقربان الكبير وأبو صوفة. ونحن نأمر الشيخ ــ وفقه الله ــ أن يطلب من حاشيته وصبيته بصون ما يجدونه منها إلى أن تأتي الحواة لأخذها وردّها إلى سللها".

فلما قرأ ابن المدبر الرقعة كتب إلى الوزير: "أتاني أمر سيدنا الوزير ــ خلّد الله نعمته ــ بما أشار إليه في أمر الحيات والحشرات.

والطلاق يلزمني ثلاثًا إن بتُّ أنا أو بات أحد من أهلي في دار تجاور داركم. والسلام".

من كتاب "الخطط المقريزية".

ـ خروج نظام الملك للحج

حكى عبد الله السّاوَجِيّ: استأذن الوزير نظامُ الملك السلطانَ ملكشاه في الحج، فأذن له.

فعبر دِجلة وعبر خدمه بالآلات والأقمشة، وضربت الخيام على شط دجلة.

فأردتُ يوماً أن أدخل عليه، فرأيت بباب الخيمة فقيراً يلوح عليه سيما المتصوفة.

فقال لي: يا شيخ، أمانة توصلها إلى الوزير.

قلت: نعم. فأعطاني رقعة مطوية، فدخلت بها، ولم أنظر فيها حفظاً للأمانة، ووضعتها بين يدي الوزير.

فلما نظر فيها بكى حتى ندمتُ وقلت في نفسي: ليتني نظرت فيها، فإن كان ما فيها يسوءه لم أدفعها إليه.

ثم قال لي: يا شيخ، أدخل عليّ صاحب هذه الرُّقعة.

فخرجتُ فلم أجده، وطلبتُه فلم أظفر به.

فأخبرت الوزير بذلك، فدفع إليّ الرُّقعة فإذا فيها: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وقال لي: اذهب إلى الوزير وقل له: لِمَ تذهب إلى مكة؟ حجُّك هاهنا. حجُّك في إعانة أصحاب الحوائج".

وعاد نظام الملك إلى بلاده ولم يحج. ثم رأيت الفقير بعد ذلك على شط دجلة وهو يغسل خُرَيْقات له.

فقلت: إن الوزير يطلبك. فقال: مالي وللوزير؟ إنما كانت عندي أمانة فأديتُها.

من كتاب "طبقات الشافعية الكبرى" لتاج الدين السبكي.

شهادة ابن أبي ذئب

عاقب والي المدينة أحد القرشيين وحبسه حبسًا ضيقًا.

فكتب بعض أقرباء القرشيّ إلى الخليفة أبي جعفر المنصور فشكى إليه وأخبره فأرسل أبو جعفر المنصور رسولا إلى المدينة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وقال له: اذهب فاختر قومًا من العلماء، فأَدْخلهم على القرشيّ في محبسه حتى يروا حاله وتكتبوا إليّ بها.

فاختار الرسول مالك بن أنس، وابن أبي ذئب، وابن أبي سبرة، وغيرهم من العلماء وأدخلهم عليه في حبسه

وقال لهم: اكتبوا بما ترون إلى أمير المؤمنين.

وكان والي المدينة قد بلغه الخبر، فحلّ عن القرشيّ وثاقه وألبسه ثيابا وكنس المحبس الذي كان فيه ورشّه ثم أدخل العلماء عليه.

فأخذ العلماء يكتبون: يشهد فلان و فلان ...

فقال ابن أبي ذئب: لا تكتبوا شهادتي. أنا أكتب شهادتي بيدي.

إذا فرغتم فارموا إليّ بالقرطاس فكتبوا: رأينا محبسًا لينًا وهيأة حسنة ... وما يشبه هذا الكلام.

ثم دفعوا القرطاس إلى ابن أبي ذئب، فكتب: رأيتُ محبسًا ضيقًا وأمرًا شديدًا ... وجعل يذكر شدّة الحبس.

وبُعِث بالكتاب إلى أبي جعفر. ثم قدم أبو جعفر حاجّاً فمرّ بالمدينة، فدعاهم ودعا الوالي. فجعل ابن أبي ذئب يذكر شدة حبس القرشي، وجعل الخليفة ينظر إلى الوالي غضبان وقد تغير لونه، ثم سأل الخليفة ابن أبي ذئب:

فما تقول في الوالي؟

فقال: يا أمير المؤمنين، ولي علينا ففعل بنا وفعل ... وجعل يذكر شدة الوالي وما يلقون منه.

فامتلأ الوالي غيظًا

وقال لأبي جعفر: يا أمير المؤمنين، سله عن رأيه فيك!

فقال أبو جعفر لابن أبي ذئب: فإني أسألك عن نفسي.

قال ابن أبي ذئب: لا تسألني!

فقال: أنشدك بالله، كيف تراني؟

قال: لا أعلمك إلا ظالمًا جائرًا! فقام إليه أبو جعفر وفي يده عمود، وجمع له بعض الحاضرين إليه ثوبه مخافة أن يصيبه من دم ابن أبي ذئب.

وجعل الخليفة يردّد قوله: أتقول هذا لخليفة الله في أرضه؟!

وابن أبي ذئب يقول: نشدتني بالله! إنك نشدتني بالله!

فما ناله أبو جعفر بسوء.

من كتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي.

ـ صبر وحكمة

حكى اليافعي عن أبي الحسن السراج

قال: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فبينما أنا أطوف، وإذا بامرأة قد أضاء حسن وجهها، فقلت:

والله ما رأيت كاليوم قط نضارة وحسناً مثل هذه المرأة، وما ذلك، إلا لقلة الهم والحزن، فسمعت ذلك القول مني.

فقالت: كيف قلت هذا يا رجل؟ والله إني لوثيقة بالأحزان، مكلومة الفؤاد بالهموم والأشجان، فقلت لها: وكيف ذلك؟

قالت: ذبح زوجي شاة ضحـــَّى بها، ولي ولدان صغيران يلعبان وعلى ثديي طفل يرضع، فقمت لأصنع طعاماً

فقال ابني الكبير لأخيه الصغير: ألا أريك كيف صنع أبي بالشاة؟

قال: بلى، فأضجعه وذبحه وخرج هارباً نحو الجبل، فأكله الذئب، فانطلق أبوه في طلبه فأدركه العطش فمات، فوضعت الطفل وخرجت إلى الباب أنظر ما فعل أبوه، فدب الطفل إلى البرمة وهي على النار، فألقى يده فيها، وصبها على نفسه وهي تغلي، فانتثر لحمه على عظمه، فبلغ ذلك ابنة لي كانت عند زوجها. فرمت بنفسها على الأرض فوافقت أجلها.

فأفردني الدهر من بينهم.

فقلت لها: فكيف صبرك على هذه المصائب؟

فقالت: ما من أحد ميـــّز الصبر والجزع إلا وجد بينهما منهاجاً متفاوتاً،

فأما الصبر بحسن العلانية، فمحمود العاقبة.

وأما الجزع فصاحبه غير مــُعوَّض.

فقلت لها: لقد صبرت فأجملت ونعم عقبى الصابرين.

صـلاح النفـــس

روي أن رجلاً أتى إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه،

فقال: يا أبا إسحق، إني مسرف على نفسي، فاعرض عليّ ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً،

قال: إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها، لم تضرك المعصية، ولم توبقك لذة،

قال: هات يا أبا إسحق.

قال: أما الأولى فإذا أردت أن تعصي الله عز وجل فلا تأكل رزقه،

قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض رزقه؟

قال: يا هذا، أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟

قال: لا، هات الثانية،

قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده

قال: هذه أعظم من الأولى يا هذا، إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن؟

قال: يا هذا، أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟

قال: لا، هات الثالثة.

قال: وإذا أردت أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده، فانظر موضعاً لا يراك فيه، فاعصه فيه،

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قال: يا إبراهيم، ما هذا وهو يطلع على ما في السرائر،

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده، وتعصيه وهو يراك ويعلم ما تجاهر به؟ قال: لا، هات الرابعة.

قال: فإذا جاءك ملك الموت لقبض روحك،

فقل له: أخـّرني حتى أتوب توبة نصوحاً، وأعمل لله صالحاً،

قال: لا يقبل مني،

قال: يا هذا، فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاءك، لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟

قال: هات الخامسة.

قال: إذا جاءك الزبانية يوم القيامة، ليأخذوك إلى النار، فلا تذهب معهم،

قال: إنهم يـَدَعـُوني ولا يقبلون مني،

قال: فكيف ترجو النجاة إذن؟

قال له: يا إبراهيم حسبي حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه، ولَزِم العبادة حتى فارق الدنيا رحمه الله.

طـالـوت الفقـيه

في أيام الحكم بن هشام، أمير الأندلس، ائتمر العلماء ليخلعوه، ثم جَيـَّشـُوا لقتاله. فأخذ الحكم في جمع الجنود، وهزم الثوار في وقعة هائلة شنيعة، وقبض على عدد من العلماء فضـُربت أعناقهم، ولاذ عدد آخر بالفرار.

وكان ممن فرّ طالوت بن عبد الجبار المعافري. اختفى سنة عند يهوديّ، ثم خرج وقصد الوزير أبا البسـّام ليختفي عنده.

فما كان من الوزير إلا أن توجـّه إلى الحكم بن هشام ليخبره بشأنه.

قال: ما رأي الأمير في كبش سمين؟

فقال الحكم: ما الخبر؟ قال: طالوت عندي. فأمر الحكم بالقبض عليه وإحضاره من دار الوزير. فلما أُحضر قال له الحكم: يا طالوت، لو أن أباك أو ابنك مـَلـَك هذه الدار، أكنتَ فيها في الإكرام والبرّ على ما كنتُ أفعلُ معك؟ ألم أفعل كذا؟ ألم أَمـْشِ في جـِنازة امرأتك، ورجعت معك بعدها إلى دارك؟ أفما رضيتَ إلا بسفك دمي؟ فقال الفقيه في نفسه: لا أجد أنفعَ من الصدق.

ثم قال: لقد أبغضتـُكَ لله فلم يـُجـْدِ ما صنعتَ معي لغير الله.

فوجـَم الخليفة ساعة ثم قال: انصرف في حفظ الله، ولستُ بتاركٍ بـِرَّك.

ولكن، أين ظـَفـِر بك الوزير أبو البسـّام؟

قال طالوت: أنا أَظـْفـَرْتـُه بنفسي. قصدتـُه لأختفي عنده.

قال الحكم: فأين كنتَ قبل ذلك؟

قال: في دار يهوديّ أخفاني لله مدة سنة.

فأطرق الخليفة مليـّـا، ثم رفع رأسه إلى أبي البســّام

وقال: حفظه يهوديّ وستر عليه لمكانه من العلم والدين، وغدرتَ به أنت حين قصدك للاختفاء عندك. لا أرانا الله لك وجهــاً.

ثم طرد الوزير، وزاد في إحسانه لليهودي.

من كتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبي.

. القـطّ الأعمـى

كان ابن بابشاذ في مصر إمام عصره في علم النحو.

وكانت وظيفته أن ديوان الإنشاء لا يخرج منه كتاب حتى يُعرض عليه ويتأمله، فإن كان فيه خطأ من جهة النحو أو اللغة أصلحه.

وكان له على هذه الوظيفة راتب من الخزانة يتناوله في كل شهر.

ويُحكى أنه كان يومًا في سطح جامع مصر وهو يأكل شيئاً وعنده ناس.

فحضرهم قط فرموا له لقمة، فأخذها في فيه وغاب عنهم ثم عاد إليهم.

فرموا له شيئاً آخر، ففر كذلك، وتردّد مرارًا كثيرة وهم يرمون له وهو يأخذه ويغيب به ثم يعود من فَوْرِه حتى عجبوا منه، وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته.

فلما استرابوا حاله، تبعوه، فوجدوه، يَرْقَى إلى حائط في سطح الجامع، ثم ينزل إلى موضع خالٍ وفيه قط أعمى، وكل ما يأخذه من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه، وهو يأكله. فعجبوا من تلك الحال،

فقال ابن بابشاذ: إذا كان هذا حيواناً قد سخّر الله له هذا القط ليقوم بكفايته،

ولم يحرمه الرزق،

فكيف يُضيِّع مثلي؟

ثم استعفى الشيخ من الخدمة ونزل عن راتبه.

من كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان.

. الكتـاب المـزور

كان بين جعفر البرمكي وزير الرشيد وبين والي مصر عداوة ووحشة.

وكان كل منهما مجانبا للآخر.

فزوّر أحد الناس كتابًا عن لسان جعفر إلى والي مصر مضمونه أن حامل هذا الكتاب من أخص أصحابنا، وقد آثر التفرّج في الديار المصرية، فأريد أن تحسن الالتفات إليه، وبالغ في الوصية. ثم أخذ الكتاب ومضى إلى مصر وعرضه على صاحبها.

فلما وقف عليه تعجّب منه، وفرح به إلا أنه حصل عنده ارتياب وشك في الكتاب.

فأكرم الرجل، وأنزله في دار حسنة، وأقام له ما يحتاج إليه، وأخذ الكتاب منه، وأرسل إلى وكيله

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ببغداد

وقال له: "قد وصل شخص من أصحاب الوزير بهذا الكتاب، وقد ارتبتُ به، فأريد أن تتفحّص لي عن حقيقة الحال في ذلك، وهل هذا خط الوزير أم لا".

وأرسل كتاب الوزير صُحْبة مكتوبة إلى وكيله.

فجاء الوكيل إلى وكيل الوزير، وحدثه بالقصة وأراه الكتاب.

فأخذه وكيل الوزير ودخل إلى الوزير وعرّفه الحال، فلما وقف جعفر البرمكي على الكتاب علم أنه مزوّر عليه.

وكان عنده جماعة من ندمائه ونوابه، فرمى الكتاب عليهم

وقال لهم: أهذا خطي؟ فتأملوه وأنكروه كلهم،

وقالوا: هذا مزوّر على الوزير.

فعرفهم صورة الحال، وأن الذي زور هذا الكتاب موجود بمصر عند صاحبها، وأنه ينتظر عود الجواب بتحقيق حاله.

وقال لهم: ما ترون؟ وكيف ينبغي أن نفعل في هذا؟

فقال بعضهم: ينبغي أن يُقتل هذا الرجل حتى تنحسم هذه المادة ولا يرجع أحد يتجرأ على مثل هذا الفعل.

وقال آخر: ينبغي أن تقطع يمينه التي زور بها هذا الخط.

وقال آخر: ينبغي أن يوجع ضربًا ويُطلق حال سبيله.

وكان أحسنهم محضرًا من قال: ينبغي أن تكون عقوبته على هذا الفعل حرمانُه، وأن يعرف صاحب مصر بحاله ليحرمه، فيكفيه من العقوبة أنه قد قطع هذه المسافة البعيدة من بغداد إلى مصر، ثم يرجع خائبا.

فلما فرغوا من حديثهم قال جعفر: سبحان الله! أليس فيكم رجل رشيد؟! قد علمتم ما كان بيني وبين صاحب مصر من العداوة والمجانبة، وأن كل واحد منّا كانت تمنعه عزّة النفس أن يفتح باب الصلح، فقيّض الله لنا رجلاً فتح بيننا باب المصالحة والمكاتبة وأزال العداوة بيننا. فكيف يكون جزاؤه ما ذكرتم من الإساءة؟

ثم أخذ القلم وكتب على ظاهر الكتاب إلى صاحب مصر:

"كيف حصل لك الشك في خطي؟ هذا خط يدي، والرجل من أعزّ أصحابي، وأريد أن تحسن إليه وتعيده إليّ سريعًا فإني مشتاق إليه، محتاج إلى حضوره"

فلما وصل الكتاب كاد صاحب مصر يطير من الفرح، وأحسن إلى الرجل غاية الإحسان، وواصله بمال كثير. ثم إن الرجل رجع إلى بغداد، فحضر إلى مجلس جعفر.

فلما دخل سلّم عليه ووقع يقبّل الأرض ويبكي.فقال له جعفر: من أنت يا أخي؟ قال: أنا عبدك وصنيعتُك المزور الكذّاب المتجرِّي! فعرفه جعفر، وبشّ به، وسأله عن حاله،وقال له: كم وصل

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

إليك منه؟ فقال: مائة ألف دينار.

فقال جعفر: لازِمْنا حتى نضاعفها لك!

من كتاب "الفخري" لابن طباطبا.

ـ اللـص الفقيـه

حدّث بعض جلساء عبد الملك بن عبد العزيز الماجَشُون،

قال: خرجتُ إلى بستان لي بالغابة، فلما دخلتُ في الصحراء وبعدت عن البيوت، تعرّض لي رجل

فقال: اخلع ثيابك!

فقلت: وما يدعوني إلى خَلْع ثيابي؟

قال: أنا أَوْلى بها منك.

قلت: ومن أين؟

قال: لأني أخوك وأنا عُريان وأنت مكسوّ.

قلت: فأعطيك بعضها.

قال: كلاّ، قد لبستها كلها وأنا أريد أن ألبسها كما لبستها.

قلت: فتعرّيني وتُبدي عورتي؟

قال: لا بأس بذلك، فقد رُوينا عن الإمام مالك أنه قال: لا بأس للرجل أن يغتسل عُريانًا.

قلت: فيلقاني الناس فيرون عورتي؟

قال: لو كان الناسُ يَرونك في هذه الطريق ما عرضتُ لك فيها.

قلت: أراك ظريفًا، فدعني حتى أمضي إلى بستاني وأنزع هذه الثياب فأوجِّه بها إليك.

قال: كلا، أردتَ أن توجِّه إليّ أربعة من عبيدك فيحملوني إلى السلطان فيحبسني ويمزّق جلدي.

قلت: كلا. أحلف لك أيمانًا أني أَفِي لك بما وعدتُك ولا أسوءُك.

قال: كلا، فقد روينا عن الإمام مالك أنه قال: لا تلزمُ الأيمان التي يُحْلَفُ بها لِلّصوص.

قلت: فأحلف أني لا أختل في أَيماني هذه.

قال: هذه يمين مُركَّبة على أيمان اللصوص.

قلت: فدع المناظرة بيننا فوالله لأوجّهن إليك هذه الثياب طيّبة بها نفسي. فأطرق ثم رفع رأسه وقال: تدري فيم فكرتُ؟

قلت: لا.

قال: تصفّحتُ أمرَ اللصوص من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا فلم أجد لصًا أخذ نسيئة.وأنا أكره أن أبتدع في الإسلام بدعة يكون عليّ وِزْرُها ووِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها بعدي إلى يوم القيامة. اخلع ثيابك! فخلعتُها ودفعتُها إليه، فأخذها وانصرف.

من كتاب "أخبار الأذكياء" لابن الجوزي.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ـ الــوزيــر

في يوم الخميس أول شهر ربيع الآخر سنة ثمانمائة وتسعة وخمسين هجرية، طلب السلطان إينال ثلاثة ليختار منهم مــَن يوليه الوزارة.

استدعى أولاً ابن البخار، فقيل له: هرب من القاهرة واختفى.

فطلب ابن الهــَيــْصــَم، فقيل له: مات في هذه الليلة وإلى الآن لم يــُدفن.

فطلب فرج بن النحــّال، فحضر.

فكلــّمه السلطان أن يستقرّ وزيرًا فامتنع واعتذر بقلــّة مــُتــَحــَصــِّل الدولة.

فلما زاد تمنــُّعــُه، أمر به السلطان فحــُطَّ إلى الأرض وضــُرِب نحو ثلاثمائة عصا إلى أن كاد يهلك ، ثم عــُمــِلت مصالحة وتولــّى الوزارة.

ولو مــَنَّ الله سبحانه وتعالى بأن يبطل اسم الوزير من الديار المصرية في هذا الزمان (كما أبطل أشياء كثيرة منها)،

لكان ذلك أَجــْوَدَ وأجملَ بالدولة.

لأن هذا الاسم عظيم، وقد ســُمــّي به جماعة كبيرة من أعيان الدنيا قديمــًا وحديثــًا في سائر الممالك والأقطار، مثل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وغيره، إلى الصاحب إسماعيل ابن عبــّاد، وهلمّ جرّا، إلى القاضي الفاضل عبد الرحيم ثم بني حــِنــّاء وغيرهم من العلماء والأعيان، إلى أن تنازلت ملوك مصر في أواخر القرن الثامن حتى وليها في أيامهم أوباش الناس، فذهبت أُبّهة هذه الوظيفة الجليلة التي لم يكن في الإسلام بعد الخلافة أجلّ منها ولا أعظم،

وصارت بهؤلاء الأصاغر في الوجود كــَلا شيء، إذ يباشرونها بعجز وضعف، وظلم وعسف. فلا قوة إلا بالله!

من كتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لابن تغزى بردى.

ـ امرأة أبــي رافــع والصيرفــيّ

كان أبو رافع مولى رسول الله. وقد حدث أن رأته امرأته في نومها بعد وفاته،

فقال لها: أتعرفين فلانــاً الصــَّيــْرفيّ؟

قالت له: نعم.

قال: فإن لي عليه مائتي دينار.

فلما انتبهت من نومها غدت إلى الصيرفي فأخبرته الخبر، وسألته عن المائتي دينار.

فقال: رحم الله أبا رافع. والله ما جرت بيني وبينه معاملةٌ قط.

فأقبلتْ إلى مسجد المدينة، فوجدت مشايخ من جائزي الشهادة، مقبولي القول. فقصــّت عليهم الرؤيا، وأخبرتهم خبرها مع الصيرفي وإنكاره لما ادعاه أبو رافع.

فقالوا: ما كان أبو رافع ليكذب في نوم ولا يقظة. قومي بصاحبك إلى السلطان ونحن نشهد لك عليه. فلما رأى الصيرفي عزم القوم على الشهادة لها، وعلم أنهم إن شهدوا عليه لم يبرح حتى

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

يؤدّيها،

قال لهم: إن رأيتم أن تـُصلحوا بيني وبين هذه المرأة على ما ترونه فافعلوا.

قالوا : نعم، والصلح خير، ونِـعْـم الصلح الشـِّطر، فأدِّ إليها مائة دينار من المائتين.

فقال لهم: أفعل، ولكن اكتبوا بيني وبينها كتابـاً يكون وثيقة لي.

قالوا: وكيف تكون هذه الوثيقة؟

قال: تكتبون لي عليها أنها قبضت مني مائة دينار صـُلحـاً على المائتي دينار التي ادّعاها أبو رافع عليّ في نومها، وأنها قد أبرأتني منها، وشرطتْ على نفسها ألا ترى أبا رافع في نومها مرة أخرى!

من كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه

ـ بسـاط الخليـفة

حُكي عن أحمد بن أبي داود أنه

قال: ما صحب السلطان أصلب ولا أخبث من عمر بن فرج الرّخجي.

غضب عليه الخليفة المعتصم يومـاً وهمّ بقتله وأمر بإحضاره، فجاءوا به وقد نزف دمه.

فقال المعتصم: السيف يا غلام! فجعلت رُكـْبتا عمر بن فرج تصطكـّان.

فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يسأله عن ذنبه، فلعلـّه أن يخرج منه بعذر.

فقال المعتصم له: يا ابن الفاعلة، هل أمرتـُك بالتجسس على العلويين وأن تتعرّف خبر منازلهم؟ قال: لا.

قال: فلم فعلت ذلك؟

قال عمر: إنما فعلت ذلك لأنه بلغني عن واحد منهم أن أهل "قـُمْ" يكاتبونه فأردت أن أعلم ما في الكتب الواردة عليه.

وكان عمر في خلال حديثه يلمس البساط الذي كان المعتصم يجلس عليه، فزاد ذلك في غضب الخليفة، فصاح به: يا ابن الفاعلة، ما شـَغـَلـَكَ ما أنت فيه عن لمس البساط، كأنك غير مكترث بما أريده بك؟

قال عمر: لا والله يا أمير المؤمنين. ولكن العبدَ يـُعـْنـَى دائمـاً بكل شيء من أمر سيده وعلى جميع الأحوال. وقد رأيت هذا البساط خشنا لا يليق بخليفة.

فقال المعتصم: ويلك، هذا البساط كلـّفنا خمسين ألف درهم.

قال عمر: يا سيدي، عندي خير منه قيمته سبعمائة دينار.

فما كان إلا أن ذهب عن الخليفة غضبه،

وقال: وَجـِّه الساعة من يـُحضره من دارك. فجاءوا ببساط كان عمر قد اشتراه، فيما أظن، بأكثر من خمسة آلاف دينار. فاستحسنه المعتصم واستلانه.

وقال: هذا والله أحسن من بساطنا وأرخص، وقد أخذناه منك بما دفعته فيه.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فوالله ما ترك عمر القصر ذلك اليوم حتى نادم الخليفة ونال جوائزه.

من كتاب "الوزراء والكُتّاب" للجهشياري.

ـ طعـام جعـفر الملاّح

ركب الخليفة المقتدر يوماً على غفلة وعبر إلى بستان الخلافة في نفر من الخدم والغلمان. وتشاغل أصحاب الموائد والطباخون بحمل الآلات فتأخــّر إعداد الطعام.

وجاع المقتدر فعجل في طلب الطعام، فقيل له لم يــُحمل بعد.

فقال: هاتوا ما فرغوا من طهيه. فخرج الخدم متحيرين لا يجسرون أن يعودوا فيقولون ما جاء شيء. فسمعهم جعفر ملاّح زورق المقتدر،

فقال: إن كان يقبل مولانا أن يأكل طعام الملاّحين، فمعى ما يكفيه. فمضوا فذكروا ذلك للخليفة،

فقال: هاتوا ما معه! فأخرج جعفر من الزورق جدياً بارداً وإداماً وأرغفة سميد جيدة، وكل ذلك نظيف. وإذا هو طعام يــُعمل لجعفر في منزله في كل يوم، ويــُحمل إليه، فيأكله في موضعه من زورق الخليفة ويلازم الخدمة. فلما حــُمل إلى المقتدر استنظفه فأكل منه واستطابه. وجاءت الأطعمة من مطبخه

فقال المقتدر: ما آكل اليوم إلا من طعام جعفر الملاح! وأتمّ أكله منه، وأمر بتفرقة الطعام من مطبخه على من حضر.

ثم قال: قولوا لجعفر هات الحلواء!

فقال جعفر: نحن لا نعرف الحلواء!

قال المقتدر: ما ظننت أن في الدنيا من يأكل طعامــاً لا حلواء بعده!

فقال الملاح: حلواؤنا التمر، فإن رضي أمير المؤمنين أحضرتــُه.

فقال المقتدر: لا، هذا حلواء صعب لا أطيقه. أَحــْضرونا من حلوائنا.

فلما فرغ من طعامه قال لغلمانه: اعملوا في كل يوم طعاماً يُنفق عليه ما بين عشرة دنانير إلى مائتي درهم، وسلــّموه إلى جعفر الملاح ويكون برسم الزورق أبداً، فإن ركبتُ يوماً على غفلة كما ركبت اليوم، أجد الطعام معدّا.

وإن غربت الشمس ولم أركب كان الطعام لجعفر.

فكان الطعام يــُعمل له كل يوم إلى أن قُتل المقتدر، وما ركب المقتدر بعد ذلك اليوم على غفلة ولا احتاج إليه!

من كتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي.

ـ القـوالب والزوابـل

يحكى عن صاعد بن الحسن اللغويّ أنه كان حاضر الجواب سريعه، يجيب عن كل ما يُسألُ عنه دون أن يتوقّف للتفكير.

سأله المنصور بن أبي عامر يوما:

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

هل رأيت فيما رأيتَ من الكتب، كتابَ "القوالب والزوابل" لمبرمان بن يزيد؟

قال صاعد: نعم، رأيتُه في بغداد في نسخة بخط أبي بكر بن دُرَيد بخطٍّ صغير وفي هوامشها علامات وتعليقات.

فقال له المنصور: أما تستحي يا صاعد من هذا الكذب؟

هذا كتاب عاملنا ببلد كذا يذكر فيه أن الأرض قد قُلِبَتْ وزُبِلَتْ،

فألّفتُ من قوله عنوان الكتاب الوهمي الذي سألتك عنه!

فأخذ صاعدٌ يحلف أن الكتاب موجودٌ حقيقة! من كتاب

"إنباه الرواة على أنباه النحاة" للقفطي.

ـ الكلب والثعلب

كان سفيان الثوري يقول: ما رأيتُ الزهد في شيء أقلَّ منه في الرئاسة، ترى الرجلَ يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة تمسّك بها وعادى الناس.

حدّث عطاء بن مسلم

قال: لما تولّى المهدي الخلافة بعث إلى سفيان الثوري.

فلما دخل عليه، خلع المهدي خاتمه فرمى به إليه

وقال: يا أبا عبد الله! هذا خاتمي، فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسُّنة.

فردّ سفيان الخاتم وقال: تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين؟

قال: نعم.

قال: لا تبعث إليّ حتى آتيك، ولا تعطني حتى أسألك.

فغضب المهديّ غضبا شديدا وصرفه.

فلما خرج سفيان حفَّ به أصحابه

فقالوا: ما منعك وقد أمرك أن تعمل في الأمة بالكتاب والسُّنة؟

قال: إني لا أخاف إهانة الأمراء لي، وإنما أخاف إكرامهم لي حتى لا أرى سيئاتهم سيئات.

ولم أَرَ للعلماء والسلاطين مثلاً إلا مثلاً ضُرِب على لسان الثعلب،

قال: عرفتُ نيفا وسبعين حيلة للتخلص من الكلب، ليس منها حيلة أفضل من

أن لا أرى الكلب ولا يراني!

من كتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبي.

ـ الهواتف والجان

كانت الهواتف قد كثرت في العرب خاصة أيام مولد النبي صلى الله عليه وسلم وفي أولية مبعثه.

ومن حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع، وجسم غير مرئي. وإنما تعرض الهواتف والجان للناس من قِبَلِ التوحّد في القِفار، والتفرّد في الأودية، لأن الإنسان إذا صار في مثل هذه الأماكن وتوحّد، تفكّر، وإذا هو تفكّر وَجِلَ وجَبُنَ، وإذا هو جَبُن داخلتْه الظنون

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الكاذبة، والأوهام الفاسدة، فصوّرت له الأصوات، ومثّلت له الأشخاص، وأوهمته المحال، بنحو ما يعرض لذوي الوسواس.

وأُسُّ ذلك سوء التفكير، وخروجه على غير نظام قوي، لأن المتفرّد في القفار مستشعر للمخاوف، فيتوهم ما يحكيه من هَتْف الهواتف به، واعتراض الجان له.

وقد كانت العرب قبل ظهور الإسلام

تقول: إن من الجن مَنْ هو على صورة نصف إنسان، وأنه كان يظهر لها في أسفارها وحين خلواتها.

وذكروا عن الجن بيتين من الشعر قالتهما حين قَتَلَتْ حرب بن أمية،

وهما: وقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قَفْرْ وليس قُرْبَ قبرِ حَرْبٍ قَبْرْ

واستدلّوا على أن هذا الشعر من قول الجن بأن أحدًا من الناس لا يتأتى له أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتعتع في إنشادهما، لأن الإنسان قد ينشد العشرين بيتاً والأكثر والأقل أشدّ من هذا الشعر وأثقل منه ولا يتتعتع فيه.

من كتاب "مروج الذهب" للمسعودي.

. عقل راجح

تحدث أحدهم، وكان يتلقى الأدب على "المبرد"

فقال: خرجت ذات مساء بعد أن انتهى الدرس من بيت المبرد فرأيت إنساناً أشعث، في أسمال بالية، ولما أن كدت أتجاوزه، أومأ إليَّ وبادرني بقوله..

"أنت تلميذ المبرد "

وإنني أعلم أنه عقب إلقاء درسه اليومي، يختتم حديثه ببيتين من الشعر... فماذا كانا اليوم؟ فقلت بسرعة لأتخلص منه.

لقد ختم حديثه بهذين البيتين:

أعار الغيثَ نائلَه ..... إذا ما ماؤه نَفِدا

وإن أسد شكا جُبنا ..... أعار فؤاده الأسدا

وما إن انتهيت، حتى أسرع هذا بقوله:

لو أعار نائله للغيث، لأصبح بلا نائل، أي بخيل

ولو أعار الأسد فؤاده، لأصبح بلا فؤاد، فهل هذا مديح أم هجاء؟؟

فدهشت وقلت: "إذاً ماذا كان يقول؟" وكنت أريد إحراجه، فأجاب بعد تمعن وببطء:

علم الغيث الندى حتى إذا ..... ما وعاه علم البأس الأسد

فإذا الغيث مقرٌّ بالكرم ..... وإذا الليث مقرٌّ بالجلد

وتركني مشدوهاً ومشى..

. ما براهينك؟

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

حدّث ثمامة بن أشرس قال: شهدتُ مجلساً للمأمون وقد أُتِيَ برجل ادعى أنه إبراهيم الخليل.

فقال له المأمون: ما سمعت بأجرأ على الله من هذا.

قلت: إن رَأَى أمير المؤمنين أن يأذن لي في كلامه.

قال: شأنك وإياه.

قلت: يا هذا، إن إبراهيم عليه السلام كانت له براهين.

قال: وما براهينه؟

قلت: أُضْرِمَتْ له النار وأُلقِيَ فيها فكانت عليه برداً وسلاماً. فنحن نُضْرِمُ لك ناراً ونطرحك فيها فإن كانت عليك برداً وسلاماً آمنّا بك وصدّقنَاك.

قال: هات ما هو أَلْيَنُ من هذا.

قلت: فبراهين موسى عليه السلام.

قال: وما هي؟

قلت: ألقى العصا فإذا هي حية تسعى تَلْقَفُ ما يأفكون، وضرب بها البحر فانفلق، وبياض يده من غير سوء.

قال: هذا أصعب. هات ما هو أَلْيَن.

قلت: فبراهين عيسى عليه السلام.

قال: وما براهينه؟

قلت: إحياء الموتى.

قال: جئت بالطّامّة الكبرى! دعني من براهين هذا.

قلت: فلا بدّ من براهين!

قال: ما معي من هذا شيء.

قلتُ لجبريل: "إنكم توجّهونني إلى شياطين فأعطوني حجة أذهب بها وإلا لم أذهب"،

فغضب جبريل عليّ وقال: "اذهب أولاً فانظر ما يقول لك القوم"!

فضحك المأمون وقال: هذا من الأنبياء التي تصلح للمنادمة!

من كتاب "مروج الذهب" للمسعودي.

ملك الروم وأسارى المسلمين .

عن مكرم بن بكر القاضي

قال: دخلت على الوزير عليّ بن عيسى وهو مهموم جدًا. فسألته عن ذلك

فقال: كتب إليّ عاملنا بالثغر أن ملك الروم أجاع أسارى المسلمين في بلده وأغراهم وطالبهم بالتنصّر وأنهم في عذاب شديد. ولا حيلة لي في هذا، والخليفة لا يساعدني. ولو ساعدني لأنفقت الأموال وجهّزت الجيوش إلى القسطنطينية.

قلت: هذا أمر سهل.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قال: فقل.

قلت: إن بأنطاكية عظيمًا للنصارى يقال له البطرك، وبالقدس آخر يقال له الجاثليق. وأمرهما ينفذ على الروم وعلى ملوكهم، وبلداهما في سلطاننا، والرجلان في ذمتنا. فيأمر الوزير بإحضارهما، ويتقدم إليهما بإزالة ما يحدث للأسارى، فإن لم يزُلْ لم يُطالَب بتلك الجريرة غيرهما.

فكتب الوزير يستدعيهما. فلما كان بعد شهر، جاءني رسوله يستدعيني، فجئته فوجدته مسرورًا، وقال لي: جزاك الله عن نفسك ودينك وعنّي خيرًا. كان رأيك أبركَ رأي. هذا رسول عاملنا بالثغر قد ورد.

ثم قال للرسول: خبِّر القاضي بما جرى.

فقال العامل: أنقذني العامل مع رسول البطرك والجاثليق إلى القسطنطينية، وكتبا إلى ملكها "إنك قد خرجت بما فعلت عن ملة عيسى عليه السلام، وليس لك الإضرار بالأسارى فإنه يخالف دينك وما يأمرك به المسيح فإما زلت عن هذا الفعل وإلا حرمناك ولعنّاك".

فلما وصلنا إلى القسطنطينية حُجبنا أياما ثم استدعانا الملك، وقال لنا ترجمانه:

"يقول لكما الملك إن الذي بلغ ملك العرب من فعلنا بالأسارى كذب وتشنيع، وقد أذنّا في دخولك لتشاهدهم على ضدّ ما قيل، وتسمع شكرهم لنا".

فحُملتُ فرأيت الأسارى وكأن وجوههم قد خرجتْ من القبور تشهد بما كانوا فيه من الضرّ، غير أني رأيت ثيابهم جميعًا جديدة. فعلمت أني حُجبت تلك الأيام لتغيير حالهم.

وقال لي الأسارى:

"نحن شاكرون لملك الروم"، غير أن بعضهم أومأ إليّ "إن الذي بلغك كان صحيحا، وإنما خفف علينا لما أتيتم ها هنا. فكيف بلغكم أمرنا؟

" فقلت: "الوزير عليّ بن عيسى بلغه حالكم ففعل كذا وكذا".

فضجّوا بالدعاء للوزير، وسمعت امرأة منهم تقول:

"يا عليّ ابن عيسى، لا نسي الله لك هذا الفعل!"

فلما سمع الوزير ذلك أجهش بالبكاء، وسجد شكرًا لله تعالى.

فقلتُ له: أيها الوزير، أسمعكَ كثيرًا تتبرّم بالوزارة. فهل كنت تقدر على تحصيل هذا الثواب لولا الوزارة!

من كتاب "المنتظم" لابن الجوزي.

ـ من أنـت؟

كان رجل من تجار أهل المدينة في المسجد يصلي في ليلة من شهر رمضان،

إذ عَرَضَ له أمرٌ اضطره إلى العودة إلى منزله.

فوجد بابه مفتوحاً، وإذا فتى مع ابنته يحدّثها.

فلما سأله: من أنت؟

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قال إنه من ولد ابن أبي عتيق.

فأخذه بيده وذهب به إلى منزل ابن أبي عتيق، فدقّ الباب.

فلما أشرف عليه قال: أردت أن أكلمك في أمر.

فلما نزل إليه ابن أبي عتيق

قال التاجر: وجدت هذا الفتى مع ابنتي في منزلي، فسألته فزعم أنه ابنك.

فأخذ ابن أبي عتيق الفتى وضربه وشتمه،

ثم شكر التاجر ودعا له وقال: لن يعود إلى شيء تكرهه أبداً إن شاء الله.

فلما انصرف الرجل قال ابن أبي عتيق للفتى:

من أنت، ويلك؟!

من كتاب "أخبار النساء" لابن قيِّم الجَوْزيّة.

-منـام الزاهـد

في سنة ٥٣٥ (١١٤٠م) وصل إلى بغداد رجل أظهر الزهد والنسك، فقصده الناس من كل جانب. واتفق أن بعض أهل السَّواد دفن ولداً له قريباً من قبر السبتي، فمضى ذلك المتزهد فنَبَشَه ودفنه في موضع آخر،ثم قال للناس في بعض الأيام: اعلموا أنني قد رأيت عمر بن الخطاب في المنام ومعه عليّ بن أبي طالب، فسلّمت عليهما وسلّما عليّ وقالا لي إن في هذا الموضع صبيّ من أولاد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب. وخَطَّا لي المكان. وأشار إلى ذلك الموضع،فحفروه فرأوا الصبيّ. فَمَنْ وَصَلَ إلى قطعة من أكفانه فكأنه قد مَلَكَ المُلْكَ! وخرج أرباب الدولة وأهل بغداد، وانقلب البلد، وطُرح في الموضع ماء الورد والبخور، وأُخِذ الترابُ للتبرّك، وازدحم الناس على القبر حتى لم يصل أحد من كثرة الزحام.وجعل الناس يقبِّلون يد الزاهد وهو يُظهر التمنّع والبكاء والخشوع، والناس تارة يزدحمون عليه، وتارة على الميت. وبقي هذا أياماً، والميت مكشوف يبصره الناس. ثم ظهرت رائحته وجاء جماعة من أذكياء بغداد ففحصوا كفنه فوجدوه خاماً، ووجدوا تحته حصيراً جديداً،فقالوا: هذا لا يمكن أن يكون على هذه الصفة منذ أربعمائة سنة! فما زالوا ينقِّبون عن ذلك حتى جاء السوادي فأبصره،وقال: هذا والله ولدي، وكنتُ دفنتُه عند قبر السبتي! فمضى معه قوم إلى المكان، فرأوا القبر قد نُبش وليس فيه ميت.فلما سمع الزاهد ذلك هرب.

فطلبوه وأخذوه وقرّروه فأقرّ بأنه فعل ذلك حيلة، فأُخِذ وأُرْكِبَ حماراً وشُهِّر.

من كتاب "المنتظم" لابن الجوزي.

-فما الغامر ؟

دخل أبو دلامة على المهدي، فأنشده قصيدة فقال له: سلني حاجتك.

فقال: يا أمير المؤمنين، تهب لي كلبا.

فغضب وقال: أقول لك، سلني حاجتك فتقول:" هب لي كلبا"؟

فقال: يا أمير المؤمنين، الحاجة لي أم لك.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قال: لا، بل لك.

قال: فاني أسألك أن تهب لي كلب صيد.

فأمر له بكلب ,فقال:

يا أمير المؤمنين، هبني خرجت الى الصيد، أأعدو على رجلي؟

فأمر له بدابة.

فقال: يا أمير المؤمنين، فمن يقوم عليها؟

فأمر له بغلام.

فقال: يا أمير المؤمنين، فهبني قصدت صيدا وأتيت به المنزل، فمن يطبخه؟

فأمر له بجارية.

فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء أين يبيتون؟

فأمر له بدار.

فقال: يا أمير المؤمنين، قد صيّرت في عنقي كفا) أي جمعا من عيال) ، فمن أين ما يتقوّت به هؤلاء؟

قال: فان أمير المؤمنين قد أقطعك ألف جريب عامرا وألف جريب غامرا.

فقال: أما العامر فقد عرفته، فما الغامر؟

قال: الخراب الذي لا شيء فيه.

قال: ولكنني أسأل أمير المؤمنين من ألفي جريب جريبا واحدا عامرا.

قال: من أين؟

قال: من بيت المال.

فقال المهدي: حوّلوا المال وأعطوه جريبا.

فقال: يا أمير المؤمنين! إذا حوّلوا منه المال صار غامرا.

فضحك منه وأرضاه.

رؤيا صالحة

أخبرنا داود بن الرشيد قال: قلت للهيثم بن عديّ: أي شيء استحق سعيد بن عثمان أن ولاه المهدي القضاء، وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة؟قال: إن خبره في اتصاله بالمهدي ظريف، فان أحببت شرحته لك.قال: قلت: والله ما أحببت ذلك.قال: اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي، فقال :استأذن على أمير المؤمنين.فقال له الربيع: من أنت وما حاجتك؟قال :أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيا صالحة، وقد أحببت أن تذكروني له.فقال له الربيع: يا هذا أن القوم لا يصدقون ما رأونه لأنفسهم، فكيف ما يراه لهم غيرهم؟فقال له: أن لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني إليه، فأخبرته أني سألتك الإذن عليه، فلم تفعل.فدخل الربيع على المهدي فقال له: يا أمير المؤمنين ,إنكم قد أطعمتم الناس في أنفسكم، فقد احتالوا لكم بكل ضرب .قال له: هكذا صنع المملوك،

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فما ذاك؟قال: رجل بالباب يزعم أنه قد رأى لأمير المؤمنين رؤيا حسنة، وقد أحبّ أن يقصها عليه.

فقال له المهدي: ويحك يا ربيع، إني والله أرى الرؤيا لنفسي، فلا تصح لي، فكيف اذا دعاها من لعله قد افتعلها؟قال: والله قلت له مثل هذا، فلم يقبل.قال: هات الرجل.

فأدخل إليه سعيد بن عبد الرحمن وكان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان، فقال له المهدي: هات بارك الله عليك، فماذا رأيت؟قال: رأيت أمير المؤمنين آتيا أتاني في منامي ,فقال لي: أخبر أمير المؤمنين المهدي أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة، وآية ذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يقلّب يواقيت، ثم يعدها، فيجدها ثلاثين ياقوتة ,كأنها قد وهبت له.

فقال المهدي: ما أحسن ما رأيت، ونحن نمتحن رؤياك في ليلتك المقبلة على ما أخبرتنا به، فان كان الأمر على ما ذكرته أعطيناك ما تريد، وان كان الأمر بخلاف ذلك، لعلمنا أن الرؤيا ربما صدقت وربما اختلفت.فقال له سعيد :يا أمير المؤمنين، فما أنا أصنع الساعة إذا صرت إلى منزلي وعيالي، فأخبرتهم أني كنت عند أمير المؤمنين ثم رجعت صفرا؟قال له المهدي: فكيف نعمل؟

قال :يعجّل لي أمير المؤمنين ما أحب وأحلف له بالطلاق أني قد صدقت.

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وأمر أ، يؤخذ منه كفيل ليحضره من غد ذلك اليوم، فقبض المال، وقيل من يكفل بك؟فمدّ عينيه إلى خادم فرآه حسن الوجه والزي، فقال: هذا يكفل بي.

فقال له المهدي: أتكفل به؟فاحمرّ وخجل وقال: نعم. وكفله ,وانصرف.

فلما كان في تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفا حرفا وأصبح سعيد في الباب واستأذن فأذن له، فلما وقعت عين المهدي عليه قال: أين مصداق ما قلت لنا؟

فقال سعيد: امرأتي طالق أن لم تكن رأيت شيئا.

قال له المهدي :ويحك، ما أجرأك على الحلف بالطلاق.

قال: لأنني أحلف على صدق.

قال له المهدي: فقد والله رأيت ذلك مبينا.

فقال له سعيد: الله أكبر! فأنجز يا أمير المؤمنين ما وعدتني.

قال له: حبّا وكرامة. ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار ,وعشرة تخوت ثياب من كل صنف، وثلاثة مراكب من أنفس دوابه محلاة.فأخذ ذلك وانصرف، فلحق به الخادم الذي كان كفل به، وقال له: سألتك بالله هل كان لهذه الرؤيا التي ذكرتها من أصل؟قال له سعيد: لا والله.

قال الخادم: كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته له؟

قال: هذه من المخاريق الكبار التي لا يأبه لها أمثالكم، وذلك أني لما ألقيت إليه هذا الكلام خطر بباله، وحدّث به نفسه، وأسرّ به قلبه، وشغل به فكره، فساعة نام خيّل له ما حلّ في قلبه، وما كان شغل به فكره في المنام.

قال له الخادم: قد حلفت بالطلاق!

قال: طلقت واحدة، وبقيت معي ثنتين فأرد في مهر عشرة دراهم، وأتخلّص وأتحصّل على عشرة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

آلاف درهم، وثلاثة آلاف دينار، وعشرة تخوت من أصناف الثياب، وثلاثة مراكب.

فبهت الخادم في وجهه وتعجّب من ذلك، فقال له سعيد: قد صدقتك وجعلت صدقي لك فكافأتك على كفالتك بي، فاستر عليّ ذلك.

ففعل ذلك، فطلبه المهدي لمنادمته، فنادمه وحظي عنده وقلّده القضاء على عسكر المهدي، فلم يزل كذلك حتى مات المهدي.

ليس بطبيب

وقف بعض الحاكّة على طبيب، فرآه يصف لهذا النقوع ولهذا التمر هندي، فقال: من لا يحسن مثل هذا؟فرجع الى زوجته فقال: اجعلي عمامتي كبيرة.فقالت: ويحك أي شيء قد طرأ لك؟

قال: أريد أن أكون طبيبا.

قالت: لا تفعل، فانك تقتل الناس فيقتلوك.

قال: لا بد.

فخرج أول يوم فقعد يصف الناس، فحصّل قراريط، فجاء فقال لزوجته: أنا كنت أعمل كل يوم بحبة، فانظري ايش يحصل؟

فقالت: لا تفعل .

قال: لا بد.

فلما كان في اليوم الثاني اجتازت جارية، فرأته فقالت لسيدتها، وكانت شديدة المرض: اشتهيت هذا الطبيب الجديد يداويك، فقالت: ابعثي إليه. فجاء، وكانت المريضة قد انتهى مرضها ومعها ضعف , فقال:

عليّ بدجاجة مطبوخة، فجيء بها، فأكلت، فقويت ثم استقامت.

فبلغ هذا إلى السلطان، فجاء به فشكا إليه مرضا يشتكيه، فاتفق أنه وصف له شيئا أصلح به , فاجتمع إلى السلطان جماعة يعرفون ذلك الحائك، فقالوا له:

هذا رجل حائك لا يدري شيئا.

فقال السلطان: هذا قد صلحت على يديه وصلحت الجارية على يديه، فلا أقبل قولكم.

قالوا: فنجرّبه بمسائل.

قال: فافعلوا.

فوضعوا له مسائل وسألوه عنها، فقال: أن أجبتكم عن هذه المسائل لم تعلموا جوابها، لأن الجواب لهذه المسائل لا يعرفه إلا طبيب، ولكن أليس عندكم مارستان (مستشفى) ؟

قالوا بلى.قال: أليس فيه مرضى لهم مد ة.

قالوا بلى.

قال: فأنا أداويهم حتى ينهض الكل في عافية في ساعة واحدة، فهل يكون دليل على علمي أقوى من ذلك؟قالوا: لا.فجاء إلى باب المارستان وقال: ادخلوا لا يأتي معي أحد.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ثم دخل وحده وليس معه إلا قيّم المارستان، فقال للقيّم: انك والله أن تحدثت بما أعمل صلبتك، وان سكتّ أغنيتك.قال: ما أنطق.فأحلفه بالطلاق، ثم قال: عندك في هذا المارستان زيت؟

قال: نعم.قال :هاته.فجاء منه بشيء كثير، فصبّه في قدر كبير، ثم أوقد تحته، فلما اشتد غليانه صاح بجماعة المرضى، فقال لأحدهم:انه لا يصلح لمرضك إلا أن تنزل هذا القدر، فتقعد في هذا الزيت.

فقال المريض: الله الله في أمري!

قال: لا بد.قال: أنا شفيت، وإنما كان بي قليل من صداع.قال: ايش يقعدك في المارستان وأنت معافى؟قال: لا شيء .قال: فاخرج وأخبرهم.فخرج وأخبرهم، فخرج يعدو ويقول: شفيت بإقبال هذا الحكيم.ثم جاء إلى آخر فقال: لا يصلح لمرضك إلا أن تقعد في هذا الزيت.

فقال: الله الله، أنا في عافية.قال: لا بد.قال: لا تفعل، فاني من أمس أرددت أن أخرج.

قال: قان كنت في عافية فاخرج، وأخبر الناس أنك في عافية.

فخرج يعدو ويقول: شفيت ببركة الحكيم.

وما زال على هذا الوصف حتى أخرج الكل شاكرين له، والله الموفق.

كتاب الأذكياء لابن الجوزي

قصة الخنساء

هي تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد السلمية، ولدت سنة ٥٧٥ للميلاد ، لقبت بالخنساء لقصر أنفها وارتفاع أرنبتيه. وتعد الخنساء من المخضرمين ؛ لأنها عاشت في عصرين : عصر الجاهلية وعصر الإسلام ، وبعد ظهور الإسلام أسلمت وحسن إسلامها. ويقال : إنها توفيت سنة ٦٦٤ ميلادية .

مقتل أخويها معاوية وصخر واستشهاد أولادها الأربعة :

قتل معاوية على يد هاشم ودريد ابنا حرملة يوم حوزة الأول سنة **612** م ،فحرضت الخنساء أخاها صخر بالأخذ بثأر أخيه ، ثم قام صخر بقتل دريد قاتل أخيه. ولكن صخر أصيب بطعنة دام إثرها حولا كاملا، وكان ذلك في يوم كلاب سنة ٦١٥ م. فبكت الخنساء على أخيها صخر قبل الإسلام وبعده حتى عميت .

يـــذكرني طلـــوع الـــشمس صـــخراً ... وأذكـــره لكـــل غـــروب شمـــس
ولـــولا كثـــرة الباكيـــن حـــولي ... علـــى إخـــوانهم لقتلـــت نفـــسي
ومـــا يبكـــون علـــى أخـــي، ولكـــن ... أعـــزي الـــنفس عنـــه بالتأســـي
فـــلا، والله، لا أنـــساك حـــتى ... أفـــارق مهجـــتي ويـــشص رمـــسي
فيـــا لهفـــي عليـــه، ولهـــف نفـــسي ... أيـــصبح في الـــضريح وفيـــه يمـــسي

وقالت أيضا :

قَـــذىً بِـــعَينكِ أَم بِـــالعَينِ عُـــوّارُ ... أَم ذَرَفَـــت إِذ خَلَـــت مِـــن أَهلِهـــا الـــدارُ
كَـــأَنَّ عَـــيني لِـــذِكراهُ إِذا خَطَـــرَت ... فَـــيضٌ يَـــسيلُ عَلـــى الخَـــدَّينِ مِـــدرارُ
تَبكي لِـــصَخرٍ هِـــيَ العَـــبرى وَقَـــد وَلَهَـــت ... وَدونَـــهُ مِـــن جَديـــدِ التُـــربِ أَســـتارُ
تَـــبكي خُنـــاسٌ فَمـــا تَنفَـــكُّ مـــا عَمَـــرَت ... لَـــها عَـــلَيهِ رَنـــينٌ وَهـــيَ مِفتـــارُ

تَبكي خُناسٌ عَلى صَخرٍ وَحُقَّ لَها ... إِذ رابَها الدَهرُ إِنَّ الدَهرَ ضَرّارُ
لا بُدَّ مِن مَيتَةٍ في صَرفِها عِبَرٌ ... وَالدَهرُ في صَرفِهِ حَولٌ وَأَطوارُ
قَد كانَ فيكُم أَبو عَمروٍ يَسودُكُمُ ... نِعمَ المُعَمَّمُ لِلداعينَ نَصّارُ
صُلبُ النَحيزَةِ وَهّابٌ إِذا مَنَعوا ... وَفِي الحُروبِ جَريءُ الصَدرِ مِهصارُ
يا صَخرُ وَرّادَ ماءٍ قَد تَناذَرَهُ ... أَهلُ المَوارِدِ ما في وِردِهِ عارُ
مَشى السَبَنتى إِلى هَيجاءَ مُعضِلَةٍ ... لَهُ سِلاحانِ أَنيابٌ وَأَظفارُ
وَما عَجولٌ عَلى بَوٍّ تُطيفُ بِهِ ... لَها حَنينانِ إِعلانٌ وَإِسرارُ
تَرتَعُ ما رَتَعَت حَتّى إِذا اِدَّكَرَت ... فَإِنَّما هِيَ إِقبالٌ وَإِدبارُ
لا تَسمَنُ الدَهرَ في أَرضٍ وَإِن رَتَعَت ... فَإِنَّما هِيَ تَحنانٌ وَتَسجارُ
يَوماً بِأَوجَدَ مِنّي يَومَ فارَقَني ... صَخرٌ وَلِلدَهرِ إِحلاءٌ وَإِمرارُ
وَإِنَّ صَخراً لَوالينا وَسَيِّدُنا ... وَإِنَّ صَخراً إِذا نَشتو لَنَحّارُ
وَإِنَّ صَخراً لَمِقدامٌ إِذا رَكِبوا ... وَإِنَّ صَخراً إِذا جاعوا لَعَقّارُ
وَإِنَّ صَخراً لَتَأتَمُّ الهُداةُ بِهِ ... كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نارُ
جَلدٌ جَميلُ المُحَيّا كامِلٌ وَرِعٌ ... وَلِلحُروبِ غَداةَ الرَوعِ مِسعارُ
حَمّالُ أَلوِيَةٍ هَبّاطُ أَودِيَةٍ ... شَهّادُ أَندِيَةٍ لِلجَيشِ جَرّارُ
نَحّارُ راغِيَةٍ مِلجاءُ طاغِيَةٍ ... فَكّاكُ عانِيَةٍ لِلعَظمِ جَبّارُ
فَقُلتُ لَمّا رَأَيتُ الدَهرَ لَيسَ لَهُ ... مُعاتِبٌ وَحدَهُ يُسدي وَنَيّارُ
لَقَد نَعى اِبنُ نَهيكٍ لي أَخا ثِقَةٍ ... كانَت تُرَجَّمُ عَنهُ قَبلُ أَخبارُ
فَبِتُّ ساهِرَةً لِلنَجمِ أَرقُبُهُ ... حَتّى أَتى دونَ غَورِ النَجمِ أَستارُ
لَم تَرَهُ جارَةٌ يَمشي بِساحَتِها ... لِريبَةٍ حينَ يُخلي بَيتَهُ الجارُ
وَلا تَراهُ وَما في البَيتِ يَأكُلُهُ ... لَكِنَّهُ بارِزٌ بِالصَحنِ مِهمارُ
وَمُطعِمُ القَومِ شَحماً عِندَ مَسغَبِهِم ... وَفي الجُدوبِ كَريمُ الجَدِّ ميسارُ
قَد كانَ خالِصَتي مِن كُلِّ ذي نَسَبٍ ... فَقَد أُصيبَ فَما لِلعَيشِ أَوطارُ
مِثلَ الرُدَينيِّ لَم تَنفُذ شَبيبَتُهُ ... كَأَنَّهُ تَحتَ طَيِّ البُردِ أُسوارُ
جَهمُ المُحَيّا تُضيءُ اللَيلَ صورَتُهُ ... آباؤُهُ مِن طِوالِ السَمكِ أَحرارُ
مُوَرَّثُ المَجدِ مَيمونٌ نَقيبَتُهُ ... ضَخمُ الدَسيعَةِ في العَزّاءِ مِغوارُ
فَرعٌ لِفَرعٍ كَريمٍ غَيرِ مُؤتَشَبٍ ... جَلدُ المَريرَةِ عِندَ الجَمعِ فَخّارُ
في جَوفِ لَحدٍ مُقيمٌ قَد تَضَمَّنَهُ ... في رَمسِهِ مُقمَطِرّاتٌ وَأَحجارُ
طَلقُ اليَدَينِ لِفِعلِ الخَيرِ ذو فَجَرٍ ... ضَخمُ الدَسيعَةِ بِالخَيراتِ أَمّارُ
لَيَبكِهِ مُقتِرٌ أَفنى حَريبَتَهُ ... دَهرٌ وَحالَفَهُ بُؤسٌ وَإِقتارُ
وَرِفقَةٌ حارَ حادِيهِم بِمُهلِكَةٍ ... كَأَنَّ ظُلمَتَها في الطِخيَةِ القارُ
أَلا يَمنَعُ القَومَ إِن سالوهُ خُلعَتَهُ ... وَلا يُجاوِزُهُ بِاللَيلِ مُرّارُ

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وفي الإسلام حرضت الخنساء أبناءها الأربعة على الجهاد وقد رافقتهم مع الجيش زمن عمر بن الخطاب، وهي تقول لهم : ((يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عز وجل:(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون). فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فأعدوا على قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سياقها، وجللت نارا على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام حميسها تظفروا بالغنم والكرامة في الخلد والمقامة...)).وأصغى أبناؤها إلى كلامها، فذهبوا إلى القتال واستشهدوا جميعا، في موقعة القادسية . وعندما بلغ الخنساء خبر وفاة أبنائها لم تجزع ولم تبك ، ولكنها صبرت، فقالت قولتها المشهورة: ((الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته)).

علي بن الجهم والخليفة والمتوكل

- قدم علي بن الجهم على المتوكل – و كان بدويًّا جافياً – فأنشده قصيدة قال فيها :

أنـــت كالكلـــب فـــي حفاظـــك للـــو ... د و كالتيس فـــي قـــراع الخطـــوب

أنـــت كالـــدلو لا عـــدمناك دلـــواً ... مـــن كبـــار الـــدلا كثيـــر الـــذنوب

- فعرف المتوكل قوته ، و رقّة مقصده و خشونة لفظه ، وذ لك لأنه وصف كما رأى و لعدم المخالطة و ملازمة البادية . فأمر له بدار حسنة على شاطئ دجلة فيها بستان يتخلله نسيم لطيف و الجسر قريب منه ، فأقام ستة أشهر على ذلك ثم استدعاه الخليفة لينشد ، فقال :

عـــــيون الـــــمها بـــين الرصـــافة والجـــسر ... جلـــبن الهـــوى مـــن حيـــث أدري ولا أدري

خـليلـــي مـــا أحـلـى الـــــــــــهوى وأمـره ... أعـرفـــــني بـــــالحلو مـــــنه وبـــــالمرّ !

كـــــفى بـــــالهوى شـــغلاً وبالـــشيب زاجـــراً ... لـــو أن الـــهوى مـــما ينهنـــه بـــالزجر

بـمـا بـيـننا مـن حـرمة هـــــــــــل علمتمـا ... أرق مـــن الـــشكوى وأقـــسى مـــن الهجـــر ؟

و أفـضح مـــن عـــين المحـب لـسّــــــــره ... ولا ســـــيما إن طـــــلقت دمـــــعة تجـــري

وإن أنـــــــست لـــــلأشياء لا أنـــسى قولهـــا ... جـــــارتها : مـــــا أولـــــع الـــحب بـــالحر

فـــــقالت لـــــها الأخـــــرى : فمـــا لـــصديقنا ... مـــعنى وهـــل فـــي قتلـــه لـــك مـــن عـــذر ؟

صـــــليه لـــــعل الوصـــل يحييـــه وأعلمـــي ... بـــأن أســـير الـــحب فـــي أعظـــم الأســـر

فـقـــالت أذود الـــناس عـــنه وقـلمـــــــــا ... يـــــطيب الـــــهوى إلا لـــــمنهتك الـــستر

و ايـقـنتا أن قـد سـمعت فـقالتـــــــــــا ... مـــن الطـارق المـصغي إلينـا ومـا نـدري

فـــــقلت فـــــتى إن شـــئتما كـــتم الهـــوى ... وإلا فـــخـــــلاع الأعـــنـــــة والـــغـــــدر

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

- فقال المتوكل : أوقفوه ، فأنا أخشى أن يذوب رقة و لطافة .

-قصيدة ميسون البحدلية في الخليفة

- تزوج معاوية من ميسون البحدلية، وكانت بديعة في جمالها فأسكنها القصر منعمة مكرمة ولكنها اشتاقت إلى حياتها في البادية فأنشدت تقول:

لبيت تخفق الأرياح فيه ... أحب إلي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني ... أحب إلي من لبس الشفوف
وأكل كسيرة من كسر بيتي ... أحب إلي من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج ... أحب إلي من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني ... أحب إلي من قط أليف
وخرق من بني عمي نحيف ... أحب إلي من علج عنوف
خشونة عيشي في البدو أشهى ... إلى نفسي من العيش الظريف
فما أبغي سوى وطني بديلاً ... فحسبي ذاك من وطن شريف

- ويقال أنه قد سمعها الخليفة وهي تنشد فطلقها ثلاثاً .

من شيخان قد نشدا كلابا

قال ابن سعد في طبقاته قال أبو الفرج الأصبهاني: قال أبو عمرو الشيباني: هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر.

وكان أمية بن الأسكر الكناكي من سادات قومه ، وكان له ابن اسمه كلاب هاجر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب، فأقام بها مدة ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فسألهما:

أي الأعمال أفضل في الإسلام ؟ فقالا : الجهاد

فسأل عمر فأغزاه في الجند الغازي إلى الفرس، فقام أمية وقال لعمر : يا أمير المؤمنين هذا اليوم من أيامي لولا كبر سني، فقام إليه ابنه كلاب وكان عابدا زاهدا ، فقال : لكني يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي وأبيع دنياي بآخرتي فتعلق به أبوه وكان في ظل نخل له وقال : لا تدع أباك وأمك شيخين ضعيفين ربياك صغيرا حتى إذا احتاجا إليك تركتهما، فقال : نعم اتركهما لما هو خير لي فخرج غازيا بعد أن أرضى أباه، فأبطأ في العودة إلى والديه ، وكان أبوه يوما في ظل نخل له وإذا حمامة تدعو فرخها فرآها الشيخ فبكى فرأته العجوز فبكت وانشأ يقول:

لمن شيخان قد نشدا كلابا ... كتاب الله لو قبل الكتابا
أناديه فيعرض في أباء ... فلا وأبي كلاب ما أصابا
إذا هتفت حمامة بطن وج ... على بيضاتها ذكرا كلابا
فإن مهاجرين تكنفاه ... ففارق شيخه خطئا وخابا
تركت أباك مرعشة يداه ... وأمك ما تسيغ لها شرابا
تنفض مهده شفقا عليه ... وتجنبه أبا عرها الصعابا
فإنك قد تركت أباك شيخا ... يطارق أينقا شربا طرابا

إذا رتعـــــن إرقـــــالا شـــــراعا أثـــرن بكـــل رابيـــة ترابـــا
طـــويلا شـــوقه يبكيـــك فـــردا علـــى حـــزن ولا يرجـــو الإيابـــا
فإنـــك والتمـــاس الأجـــر بعـــدي كبـــاغي المـــاء يتبـــع الـــسرابا

وكان أمية قد اضر (أي عمي) فاخذ قائدة بيده ودخل به على عمر وهو في المسجد فانشده:

أعـــاذل قـــد عـــذلت بغـــير علـــم ومـــا تـــدرين عـــاذل مـــا ألاقـــي
فإمـــا كنـــت عـــاذلتي فُـــردّي كلابـــاً إذ توجـــه للعـــراق
ولم أقـــض اللبانـــة مـــن كـــلاب . غـــداة غـــد وآذن بـــالفراق
فـــتى الفتيـــان في عـــسر ويـــسر شـــديد الـــركن في يـــوم التلاقـــي
فـــلا وأبيـــك مـــا باليـــت وجـــدي ولا شـــفقي عليـــك ولا اشـــتياقي
وإيقـــادي عليـــك إذا شـــتونا وضـــمك تحـــت نحـــري واعتنـــاقي
فلـــو فلـــق الفـــؤاد شـــديد وجـــد لهـــمّ ســـواد قلـــبي بـــانفلاق
سأســـتعدي علـــى الفـــاروق ربـــا لـــه دفـــع الحجـــيج إلى بـــساق
وأدعـــو الله مجتهـــدا عليـــه بـــبطن الأخـــشبين إلى دقـــاق
إن الفـــاروقُ لم يـــردد كلابـــا علـــى شـــيخين هامهـــما زواق

فكتب عمر برد كلاب إلى المدينة، فلما قدم ودخل عليه قال له عمر : ما بلغ من برك بابيك ؟ قال: كنت أوثره واكفيه أمره، وكنت إن أردت أن أحلب له لبنا أجيء إلى اغزر ناقة في إبله ، فأريحها واتركها حتى تستقر، ثم اغسل اخلافها (ضروعها) حتى تبرد، ثم احلب له فاسقيه. فبعث عمر إلى أمية فجاءه، فدخل عليه وهو يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب ؟ فقال له: كما ترى يا أمير المؤمنين، فقال : يا أبا كلاب ما أحب الأشياء إليك اليوم ؟ قال: ما أحب اليوم شيئا ، ما افرح بخير ولا يسوؤني شر، فقال عمر : بل على ذلك.

قال: بلى كلاب أحب انه عندي فأشمه شمه وأضمه ضمة قبل أن أموت، فبكى عمر وقال : ستبلغ ما تحب إن شاء الله تعالى ، ثم أمر كلابا أن يحلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ويبعث بلبنها إليه ففعل وناوله عمر الإناء وقال : اشرب يا أبا كلاب فأخذه فلما أدناه من فيه ، قال : والله يا أمير المؤمنين أني لأشم رائحة يدي كلاب، فبكى عمر وقال له : هذا كلاب عندك وقد جئناك به فوثب إلى ابنه وضمه، وجعل عمر والحاضرون يبكون وقالوا لكلاب : الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا ثم شأنك بنفسك بعدهما وأمر له بعطائه وصرفه مع أبيه.

وتغنت الركبان بشعر أبيه فبلغه فأنشد يقول:

لعمـــرك مـــا تركـــت أبـــا كـــلاب كـــبير الـــسن مكتئبـــا مـــصابا
وأمـــا لا يـــزال لهـــا حـــنين تنـــادي بعـــد رقـــدتها كلابـــا
لكـــسب المـــال أو طلـــب المعـــالي ولكـــني رجـــوت بـــه الثوابـــا

وكان كلاب من خيار المسلمين فلم يزل مقيما عندهما حتى ماتا.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

بكاء خليفة

اشتد المرض على الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في آخر أيامه ، وفد إليه الزائرون من كل صوب ليتفقدوا حاله ويخففوا عنه ، فأخذته غشية طويلة ثم انتبه وهو يصيح ويصرخ ويستغيث ، فجعلوا يهدئوا من روعه : مالك يا ابن مروان ؟ ماذا دهاك ؟ فانتحب وأنشأ يقول :

تفكـــــرتُ في حـــــشري ويـــــومِ قيـــــامتي ... وإصـــــباحِ خـــــدي في المقـــــابرِ ثاويـــــا
فريـــــداً وحيـــــداً بعـــــد عـــــزٍ ومنعـــــةٍ ... رهينـــــاً بجرمـــــي والتـــــراب وســـــاديا
تفكـــــرتُ في طـــــولِ الحـــــسابِ وعرضـــــه ... وذلِّ مقـــــامي حـــــين أُعطـــــى كتابيـــــا
ولكـــــن رجـــــائي فيـــــك ربي وخـــــالقي ... بأنـــــك تعفـــــو يـــــا إلهـــــي مـــــساويا

فبكوا جميعاً ثم دعوا له بالمغفرة والرحمة وانصرفوا.

ذكاء وفطنة

حكي أن شاعراً كان له عدو، فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق إذا هو بعدوه فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة. فقال له يا هذا ، أنا أعلم أني مقتول وأن المنية قد حضرت ولكن سألتك بالله إذا أنت قتلتني فامض إلى داري وقف بالباب وقل: "ألا أيها البنتان إن أباكما "...

فقال: سمعاً وطاعة ثم أنه قتله ، وبعدما أتى إلى داره ووقف في الباب وقال "ألا أيها البنتان إن أباكما..." وكان للشاعر بنتان ذكيتان فلما سمعتا ذلك القول على لسان الرجل أجابتا بفم واحد "قتيل خذا بالثأر ممن أتاكما" ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه إلى الحاكم فاستقرره فأقر بقتله الرجل فأمر الحاكم بقتله.

ألا أيهـــــا البنتـــــان إن أباكمـــــا. ... قتيـــــل خـــــذا بالثـــــأر ممـــــن أتاكمـــــا

الشعر يزوج بناته

المحلّق بخيل من بخلاء العرب الذين يُضرب بهم المثل في البخل ، كان عنده ثمان بنات لم يتزوجن لأن أباهن بخيل .. و العرب تغفر كل الذنب إلا البخل. فقالت امرأته : أتدري لماذا ترك الناس بناتنا ؟قال : لا أدري. قالت : لأنك بخيل !قال : فما الحل ؟

قالت : الحل أن تدعو الأعشى شاعر العرب فتُضيّفه يوماً و تكسوه كسوة و تعطيه مالاً .. فإذا مدحك سارت مديحتك في العرب تزوّجوا بناتك.قال : أصبتِ أصاب الله بك الخير. فذهب و دعا الأعشى و نحر له ناقة و ألبسه بُردة و أعطاه دراهم.

فلما ركب الأعشى راحلته قال:

لعمـــــري لقـــــد لاحـــــت عيـــــون كـــــثيرة ... إلى ضـــــوء نـــــار باليفـــــاع تحـــــرق
تبيـــــت لمقـــــرورين يـــــصطلِيانها ... و بـــــات علـــــى النـــــار النـــــدى و المحلّـــــق

فذهب القصيدة في العرب .. فما مرّ شهر إلا تزوجت بناته.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ما أحسن الشعر

قال أبو جعفر المنصور لجلاسه ومّاره من الأدباء والعلماء: ما هي أحسن قصيدة قيلت؟

قالوا: ما ندري..قال: قول المقنع الكندي...

يعيرني في الدّين قومي وإنما ... ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

أسد به ما قد أضاعوا وضيّعوا ... حقوق أناس ما استطاعوا لها سدّا

وإنّ الذي بيني وبين بني ابي ... وبين بني عمي لمختلف جدا

إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هتكوا مجدي بنيت لهم مجدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وإنّي لعبد الضيف مادام نازلاً ... وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

ابن من أنت ؟

عن قتادة بن النعمان ، أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "لا" فدعاه فغمرز حدقته براحته ، فكان لا يدري أي عينيه أصيب !

وفي رواية : فكانت أحسن عينيه .

وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك .

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى أيما رد

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك ، منشدا قول أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن ، فأنشده عمر في موضعها حقا :

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

بقصيدتي النرجسية:

ذكران أبا نواس رؤي في المنام ، فقالوا ما فعل الله بك ؟

قال : غفر لي وأدخلني الجنة ... قالوا : بماذا ؟ .... قال : بقصيدتي النرجسية:

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ماصنع المليك

عيون من لُجين شاخصات ... بأحداق هي الذهب السبيك

على كثب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

وكان يقول في سكرات الموت:

لهونا لعمر الله حتى تتابعت ... ذنوب على آثارهن ذنوب

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

يـــا ليـــت أن الله يغفـــر مـــا مـــضى ... ويـــأذن فـــي توباتنـــا فنتـــوب
إذا مـــا خلـــوت الـــدهر يومـــا فـــلا تقـــل ... خلـــوت، ولكـــن قـــل علـــي رقيـــب
ولا تحـــسبن الله يغفـــل طرفـــة ... ولا أن مـــا يخفـــى عليـــك يغيـــب

ليت للبراق عينا

وقعت حرب بين فزارة وإياد، وسبت إياد من بني فزارة أخت البراق، وأرادوا منها شيئاً يعز على المرأة العربية، فحاولوا اغتصابها، فأرسلت الى أخيها (البراق) الأبيات التالية:

ليـــت للبـــراق عينـــا فتـــرى ... مـــا ألاقـــي مـــن بـــلاء و عنـــا
يـــا كليبـــا و عقيـــلا إخوتـــي ... يـــا جنيـــدا أسعدونـــي بالبكـــا
عـــذبت أختكـــم يـــا ويلكـــم ... بعـــذاب النكـــر صـــبحا و مـــسا
غللـــوني، قيـــدوني، ضربـــوا ... العفـــة منـــي بالعـــصا
يكـــذب الأعجـــم مـــا يقربنـــي ... و معـــي بعـــض حـــشاشات الحيـــا
فاصـــطبار أو عـــزاء حـــسن ... كـــل نـــصر بعـــد ضـــر يرتجـــى
أصـــبحت ليلـــى تغـــل كفهـــا ... مثـــل تغليـــل الملـــوك العظمـــا
و تقيـــد و تكبـــل جهـــرة ... و تطالـــب بقبيحـــات الخنـــا
قـــل لعـــدنان هديتـــم شمـــروا ... لبنـــي مبغـــوض تـــشمير الوفـــا
يـــا بنـــي ثغلـــب ســـيروا وانـــصروا ... و ذروا الغفلـــة عـــنكم و الكـــرى
واحـــذروا العـــار علـــى أعقـــابكم ... و علـــيكم مـــا بقيـــتم فـــي الدنـــا

إنما بيني و بين الملوك يوم واحد

إنما بيني و بين الملوك يوم واحد أما أمس فلا يجدون لذته و أنا و هم في غد على وجل و إنما هو اليوم .

ندوةٌ في الرضا

اجتمع وهيب بن الورد .. وسفيان الثوري .. ويوسف بن أسباط .. فقال الثوري : كنت أكره موت الفجاءة قبل اليوم .. وأما اليوم فوددت أني ميت .. فقال له يوسف : ولِم ؟ فقال : لما أخوف من الفتنة..

فقال يوسف : لكني لا أكره طول البقاء.. فقال الثوري : ولم تكره الموت ؟

قال : لعلي أصادف يوماً أتوب فيه وأعمل صالحاً..

فقيل لوهب : أي شيء تقول : أنت ؟فقال : أنا أختار شيئاً غير ما تقولون .. فأحب ذلك إلىّ أحبه إلى الله .. فقبل الثوري بين عينيه .. وقال له : روحانية ورب الكعبة.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قس بن ساعدة الأيادي في سوق عكاظ :

يا أيها الناس اسمعوا وعوا وإذا وعيتم فانتفعوا إنه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات وأحياء وأموات جمع وأشتات وآيات وأرض ذات رتاج ،وبحار ذات أمواج ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا أقسم قس قسماً لا حانث فيه ولا آثماً إن لله ديناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه ونبياً قد حان حينه وأظلكم أوانه فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال تباً لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون الماضية يا معشر إياد أين الآباء والأجداد وأين ثمود وعاد وأين الفراعنة الشداد أين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الأعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً وأطول منكم آجالاً وأبعد منكم آمالاً طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس والد ولا مولود ثم أنشأ يقول في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

..... ورأيت قومي نحوها تمضي الأصاغر والأكابر

لا يرجع الماضي إلي ولا من الباقين غابر

..... أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

مولاى يا خير من زار السماء

مولاي يا خير من زار السماء ومن ... رقى إلى السدرة العلياء وارتفعا
قالوا نرى ساحرا" للسحر مبتدعا" ... أو شاعرا" لفق الأنباء واخترعا
وأنت بالصبر وإيمان معتصم ... تعطى الدواء لهم في رحمة جرعا
حتى إذا ائتمروا بالشر فتهم ... مهاجرا" في سبيل الله منتجعا
هاجرت بالدين من دار ومن وطن ... ورحت تطلب بعد الضيق متسعا
أغلى السلام على الهادي وصاحبه ... في باطن الغار من كيد العدا قبعا
والمشركون حواليه قد انتشروا ... من كل باغ دعاه الشر فاندفعا
أما الرسول فثبت لا يزعزعه ... هول يذوب أبو بكر له جزعا
ما الظن باثنين رب العرش ثالثهم ... مهما تالب وفد الشرك واصطرعا

إليك إليك خير الأنبياء

إليك إليك خير الأنبياء ... فخار الرسل يثبت بانتماء
فإنك شمسهم والكلّ طيف ... وأين الطيف يبلغ من ذكاء
مقامك من وجود الكون سرٌ ... به قضت المشيئة في ابتداء
وسمّاك الإله بنا رحيما ... يؤيدك الكتاب من السماء
وكنت متمم الأخلاق فينا ... فكان هداك دستور البناء

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

شــعارك فـــي المعــاد لــواء حمــدٍ … فيــا بــشرى لنــا فـــي ذا اللـــواء
ومـوعـــــدك الـــــشفاعة تجتليهــــا … وعُظــــم شـــفاعةٍ بعـــد الـــدعاء

أهلاً بخير نبيٍ شرّف العربا

أهـــلاً بخيـــر نبـــيٍ شـــرّف العربـــا … من فيه ليل الأسى عنّــا قــد احتجبــا
إنسان عين الــورى نبــراس ســؤدده … فخر الحيــاة الــذي نلنــا بــه الأربــا
ســاد الأنـــام جميعــاً فـــي شــريعته … مذ كــوّن الــدين والأخــلاق والأدبــا
والعُرب فيــه قــد اعتــزت كــرامتهم … والمجد قد هــام فـــي أخلاقــه عجبــا
والأرض قد فاخرت نجم الــسماء بــه … وبلبل الروض قــد غنــى بــه طربــا
جئناك يــا ســيدي والقلــب منكــسرٌ … والدمع فاض على الرمــضاء منــسكبا
فاحنن علينــا وجنبنــا الــردى كرمــاً … وعُد لنا مجدنا الــسامي الــذي ذهبــا
صلى عليك إلــه العــرش مــا طلعــت … شمس النهار وما بــدر الــدجى غربــا

أرى كلّ مدح للنبيّ مقصرا

أرى كـــلّ مــــدح للنبـــيّ مقـــصرا … وإن ســـطرت كـــلّ البريـــة أســـطرا
فمـــا أحـــدٌ يحـــصي فـــضائل أحمـــدٍ … وإن بـــالغ المثنـــي عليـــه وأكثـــرا
إذا الله أثنـــى بالـــذي هـــو أهلـــه … كفـــاه بـــذا فـــضلاً مـــن الله أكبـــرا
وفـــي ســـورة الأحـــزاب صـــلى بنفـــسه … عليـــه فمـــا مقـــدار ماتمـــدح الـــورى.

خلّ العزيمة أقوى سلاح

خـــلّ العزيمـــة أقـــوى ســـلاح … فمـــن يركـــب البحـــر يلقـــى الـــدرر
فبـــالعزم ترقـــى أعـــالي الجبـــال … وبـــالحق تعلـــو علـــى مـــن غـــدر
وحلّـــق بحلمـــك فـــوق النجـــوم … وكـــن ســـاطعاً مثـــل ضـــوء القمـــر
وللعلـــــم قـــــوم يقودونـــــه … وللخيـــر أهـــل إذا مـــا ظهـــر
ولاتكتئـــــب إن بـــــدا عـــــائق … فعقبـــى الغمـــام نـــزول المطـــر
ومن يـــزرع الخيـــر رغـــم الـــصعاب … ســـيلقى نتاجـــاً ويجنـــي الثمـــر
فـــلا تحقـــرن صـــغار الفعـــال … فـــرب صـــغير عظـــيم الأثـــر
أعنّـــي أُخـــي علـــى فعلـــه … لنجنـــي ســـوياً دعـــاء البـــشر

حطّوا الخفير-بيرم التونسي

حطوا الخفير على الدكان يحرسه ... فباعَهُ جُملةً لا بيعَ قطاعي
جاء الحرامي له ليلاً وفاوله ... على الذي فيه من مالٍ وأبضاعِ
والصبح جاء إلى الدكان صاحبه ... فلم يجد غيه غير السقف والقاعِ
قال المعاون شغلٌ ليسَ نعرفهُ ... فاللص لا يسرق المستيقظ الواعي

إن الشريف بغض الطرف معروف

ذكر الإمام ابن القيم في كتابه روضة المحبين ونزهة المشتاقين : أن الإمام الحافظ ابن الجوزى انه قال بلغني عن بعض

الأشراف انه اجتاز بمقبرة وإذا بجاريه حسناء كأنها البدر أو أسنى وعليها ثياب سود فنظر إليها فعلقت بقلبه فكتب لها

قد كنت احسب إن الشمس واحدة ... والبدر في نظري بالحسن موصوف
حتى رايتك في أثواب ثاكلة ... سود وصدغك فوق الخد معطوف
فرحت والقلب مني هائم دنف ... والكبد حرى ودمع العين مذروف
ردى الجواب ففيه الشكر واغتنمي ... وصل المحب الذي بالحب مشغوف

ورمى بالرقعة إليها فلما رأتها كتبت

إن كنت ذا حسب ذاك وذا نسب ... إن الشريف بغض الطرف معروف
إن الزناة أناس لا خلاق لهم ... فاعلم بأنك يوم الدين موقوف
واقطع رجاك لحاك الله من رجل ... فأن قلبي عن الفحشاء مصروف

فلما قراء الرقعة زجر نفسه وقال أليس امرأة تكون أشجع منك ثم تاب ولبس مدرعة من الصوف والتجاء إلى الحرم ينما

هو في الطواف وإذا بتلك المرأة عليها جبة من صوف فقالت له ما أليق هذا بالشريف هل لك في المباح فقال : قد كنت

أروم هذا قبل أن اعرف الله وأحبه والآن فقد شغلني حبه عن حب غيره فقالت : أحسنت

قال رجل لطاوس: أوصني

قال رجل لطاوس: أوصني قال أوصيك أن تحب الله حبًا حتى لا يكون شيء أحب إليك منه، وخفه خوفًا حتى لا يكون

شيء أخوف إليك منه، وارج الله رجاء يحول بينك وبين ذلك الخوف وارض للناس ما ترضى لنفسك.

يقولون

يَقولُون : أسْبَابُ الحَيَاةِ كَثِيرةٌ ... فَقُلْتُ : وأَسْبَابُ المَنُونِ كَثِيرُ

وما هَـذِهِ الأَيّامُ إلا مَـصَائِدٌ | وأَشْـرَاكُ مَكْـرُوه لَنَـا وغُـرورُ
يُسَارُ بنا فِـي كُـلِّ يَـومٍ ولَيْلَـةٍ | فكَمْ ذَا إلى مـا لاَ نُريـدُ نَـسيرُ
وما الدَّهرُ إلا فَرْحَـةٌ ثُـمَّ تَرْحَـةٌ | ومـا النَّـاسُ إلا مُطْلَـقٌ وأَسِـيرُ

قالوا

قَالُوا حُظُوظٌ وَأَقسامٌ فقُلَتُ لَهُـمْ | نَعَمْ ولَكِنْ عَلَيْنَا السَّعْيُ والطَّلَـبُ
ولِلْمَطَالِـبِ أَسْـبَابٌ مُقَـدَّرَةٌ | وَبَذْلُ سَعيكَ في مَطْلُوبكَ الـسَّبَبُ

سعادة لا يشقى بعدها أبدًا

عن أنس بن مالك قال: يُؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يُسْمع الخلائق سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان بن فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا.

فضل العلم

لا خَيْرَ فِي الْعِلْـمِ إنْ لَـمْ يَـرْقَ | عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الأَخْلاقِ في الصِّغَرِ
كَمْ عَالِمٍ فَاسِـدٌ ضَـلَّتْ مَذَاهِبُـهُ | وَقَدْ غَدَا عِلمُهُ شَرًا عَلَـى الْبَـشَرِ
إَبْلِـيسُ أَعْلَـمُ الْفِـسْقِ قَاطِبَـةً | والنَّاسُ تَلْعَنُهُ فِي الْبَدْوِ والْحَـضَرِ
الْعِلْمُ كَالْغَيْثِ والأَخْلاقُ مَزْرَعَـةٌ | إنْ تَخْبُثِ الأَرْضُ تَـذْهَب نعْمَـةُ
والجهلُ أَفْضَلُ مِنْ عِلْـمٍ يُدَنِّـسُهُ | نُضْجُ الرَّذِيلَةِ مِنْ أَخْـلاقِ مُقْتَـدِرِ

عَجِبْتُ مِن ثلاثة

وقال يحيى بنُ معاذ : عَجِبْتُ مِن ثلاثة : رجُل يَرائي بَعِمْلِة مُخلوقًا مِثْلَه وَيترُكُ أنْ يَعْمَلَهُ لله ، وَرَجُل يَبْخَلُ بمالهَ وَربهُ يستقرْضُه منه فلا يُقْرِضُهُ منه شَيْئًا ، وَرَجُل يَرغَبُ في صُحْبَةِ المخلوقين وَمَوَّدتِهم والله يَدْعوهُ إلَى صُحْبَتِهِ وَمَودَتهِ .

آثار الذنوب والمعاصي

قال ابنُ القيِم رَحِمهُ اللهُ : وللمَعَاصِي من الآثارِ المُضِرَّةِ بالقلبِ والبَدَن في الدنيا والآخرةِ ما لا يَعْلَمُهُ إلا الله ، فمنها : أَنَّها مَدَدٌ مِنَ الإنسانِ يَمُدُّ بِهِ عَدُوَّهُ عليهِ وَجَيْشٌ يُقَوِّيهِ بِهِ على حَرْبِهِ ومِن عُقُوباتِها أَنَّهَا تَخُونُ العَبْدَ أَحْوَجَ ما يكون إلى نفْسِه . ومنها : أَنَّها تُجَرِّئُ العبدَ على مَنْ لَم يكُنْ يَجْتَرئُ عَليهِ . وَمنها : الطَّبْعُ على القلب إذا تكاثَرَتْ حتى يَصيرَ صَاحبُ الذَنْب مِنَ الغافِلين ، كما قال بعضُ السَلَفِ في قوله تَعَالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ هو الذَنْبُ بعدَ الذنب ، وقال : هو الذَنْبُ على الذنْب حتى يَعْمَى القلبُ . وأصْلُ هذا أنَّ القَلْبَ يَصْدَأُ مِنَ المعصية فإذا زادَتْ غَلَبَ الصدأُ حتى يَصيرَ رَانًا ثم يغلبُ حتى يَصِيرَ طَبْعًا وَقَفْلاً وَخَتْمًا فَيَصِيرَ القلبُ في غِشَاوةٍ وَغِلافٍ .

ومنها : إفْسادُ العقلِ فإنَّ العقلَ نُورٌ والمعصية تُطْفئُ نُورَ العقلِ .

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ومنها : أن العبدَ لا يَزالُ يَرْتَكِبُ الذُنوبَ حتى تَهونَ عليهِ وَتَصْغُرَ في قلبهِ .

ومنها : أنْ يَنْسَلخَ مِنَ القلبِ اسْتِقْباحُها فتصيرَ لهُ عادةً .

ومنها : أنَّ المعاصِي تَزْرَعُ أَمْثَالَها وَيُوَلِّدُ بعضُها بَعضًا .

ومنها : ظُلْمَةٌ يَجدُها في قلبِهِ يُحِسُّ بها كما يُحِسُّ بظُلْمَةِ الليلِ .

ومنها : أنَّ المعاصِيَ تُوهِنُ القلبَ والبَدَنَ أمّا وَهَنُها لِلْقِلب فَأمْرٌ ظاهِرٌ بل لا تَزَالُ تُوهِنُهُ حتى تُزيلَ حَيَاتَهُ بالكُلِّيةِ وأمَّا وَهَنُها للبَدَنِ فإنّ المؤمن قُوتُهُ في قلبِهِ وكلّما قَوِيَ قلبُهُ قَوِيَ بَدَنُه .

ومَنْها : أَنّ المعاصِيَ تَمْحَقُ بَرَكَةَ العُمْرَ إذْ أنَّ المَعاصِيَ كُلَّها شُرُورٌ .

وَمِنْهَا : شَمَاتَةُ الأَعْدَاءِ فَإنّ المَعَاصِيَ كُلَّها أَضْرارٌ في الدِّينِ والدُّنْيَا وَهَذَا مَا يُفَرِّحُ العَدُوَّ وَيُسيءُ الصَّديقَ .

وَمِنْهَا تَعْسِيرُ أُمُورِهِ فَلا يَتَوَجَّهُ لأمْرٍ إلا يَجِدُهُ مغْلَقًا دُوْنَه أَوْ مُتَعسِّرًا عَلَيْه .

وَمِنْهَا الْوَحْشَةُ التي تَحْصُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاس وَلاسِيَّما أَهلُ الخَيْر . وَمِنْهَا حِرْمَانُ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَدَعْوَةِ الملائِكَةِ لِلَذِيْنَ تَابُوا وَمِنْهَا أنَّ الذُنُوبَ تَدْخُلُ العَبْدَ تَحْتَ لَعْنَةِ رَسُولِ الله ﷺ .

شِعْرًا :

ألا طُوبَى لِمَنْ أَمْسَى وأَضْحَى … خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ ثِقْلِ الذُنُوب
يَغِيْبُ عَنِ الأباعِدِ والأَدَانِيْ … لِخَلْوَتِهِ بِعَلامِ الغُيُوب

آخر :

لا تَقْنَطَنْ مِنْ عِظَمِ الذُنُوب … فَرَبُّ العِبَادِ رحِيمٌ رؤوف
ولا تَمْضِيَنَّ عَلَى غَيْرِ زَادْ … فَإنَّ الطَّرِيقَ مَخَوْفٌ مَخُوفْ

وَمِنْهَا : أَنَّها تُحْدِثُ فِي الأَرْضِ أَنواعًا مِنَ الفَسَادِ في المِيَاهِ وَالهَواءِ والزّروعِ وَالثِّمَارِ والمَسَاكِن .

وَمِنْهَا : أَنَّها تُطْفِئُ مِنَ الْقَلْبِ نارَ الغَيرَةِ .

وَمِنْهَا : ذَهَابُ الحيَاءِ الذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ القلب .

وَمِنْهَا : أَنَّها تُضْعِفُ فِي القلبِ تَعْظِيمَ الرّبِّ وَتُضْعِفُ وَقَارهُ في قَلْبِ العَبْدِ .

وَمِنْهَا : أَنّها تَسْتَدْعِي نِسْيَانَ اللهِ لِعَبْدِهِ وَتَركِه .

وَمِنْهَا : أَنَّهَا تُخْرِجُ العَبْدَ مِنْ دَائِرةِ الإِحْسَانِ وَتَمْنَعُهُ ثَوابَ الْمُحْسِنين .

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وَمِنْهَا : أَنَّها تُضْعِفُ سَيْرَ القَلبِ إلى اللهِ والدّارِ الآخِرَةِ .

وَمِنْهَا : أَنَّها تَصْرِفُ القلب عَنْ صِحَّتِهِ واسْتِقَامَتِهِ .

وَمِنْهَا : أَنَّها تُعْمِي بَصِيرَةَ القلبِ وَتَطْمِسُ نُورَهُ وَتَسدُّ طُرُقَ العِلْمِ .

وَمِنْهَا : أَنَّها تُصَغِّرُ النَفْسَ وَتَحْقِرُهَا وَتَقْمَعُهَا عن الخيرِ .

وَمِنْهَا : أنَّ العَاصِيَ فِي أَسْرِ شَيْطَانِهِ وَسِجْنِ شَهَوَاتِهِ .

وَمِنْهَا : سُقُوطُ الجَاهِ والمَنْزِلَةِ والكَرَامَةِ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ . وَمِنْهَا : أَنَّها تُوجِبُ القَطِيعَةَ بينَ العبْدِ وَبينَ رَبِّهِ .

وَمِنْهَا : أَنَّهَا تَسْلُبُ صَاحِبَهَا أَسْمَاءَ المَدْحِ والشرَفِ .

وَمِنْهَا : أَنَّهَا تَجْعَلُ صَاحِبَها من السَفَلَةِ . انتهى .

شعرًا
تَبِيتُ عَلَى المَعَاصِي والمَسَاوِي ... فَأَنْتَ بِغَفْلَةٍ واللهُ بتَّا
يُدِيمُ عليكَ إِحْسَانًا وفَضْلاً ... وأَنْتَ تُدِيمُ لُؤْمًا أَيْنَ كُنْتَا
وبالعِصْيَانِ تَخطُرُ باخْتِيَالٍ ... سَكِرْتَ مِنَ الغُرورِ وما صَحَوْتَا
أَفِقْ مِنْ غَفْلَةٍ وَأَنِبْ لِرَبٍّ ... تَنَلْ منهُ السَّمَاحَ إِذَا أَنَبْتَا
وتَظْفَرُ بِالقَبُولِ وبالأَمَانِي ... وفِي الدَّارَيْنِ بالإِسْعَادِ فُزْتَا

آخر
أَلا أَيُّها المُسْتَطْرِفُ الذَّنْبَ جَاهِدًا ... هُوَ اللهُ لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ السَّرَائِرُ
فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْرِفْهُ حِينَ عَصَيْتَهُ ... فَإِنَّ الذِي لاَ يَعْرِفُ اللهُ كَافِرُ
وإِنْ كُنْتَ عن عِلْمٍ ومَعْرِفَةٍ بِهِ ... عَصَيْتَ فَأَنْتَ المُسْتَهِينُ المُجَاهِرُ
فَأَيَّةُ حَالَيْكَ اعْتَقَدْتَ فإنَّهُ ... عَلِيمٌ بِمَا تُطْوَى عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ

آخر
أَحذِرْكَ أَحذِرْكَ لا أَحذِرْكَ واحِدَةً ... عَنِ المَعَاصِي وخُصَّ الشِركَ بِاللهِ
فإِنَّهُ أَعْظَمُ الآثامِ أَجْمَعِهَا ... وَصَاحِبُ الشِّرْكِ أَعْدَى الناسِ لِلهِ

ومِن عُقُوباتِ الذُنُوب أَنها : تَصْرِفُ القَلْبَ عن صِحَّتِهِ واسْتِقَامَتِهِ إلى مَرَضِهِ وانْحِرَافِهِ ، فَلا يَزَالُ مَرِيضًا مَعْلُولاً لا يَنتفِعُ بالأغذيةِ التي بها حَيَاتُه وصَلاحُه .

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قال ابْن القيم رحمه الله : إذا أرادَ اللهُ بعبدِهِ خَيْرًا فَتَحَ لهُ أبوابَ التوبةِ والندَمِ والانكِسارِ والذُل والافتقارِ والاستِعانَةِ بِهِ وصِدْق اللجأ إليهِ ودوامَ التضرُّع والدعاءِ والتقرب إليه بما أمكنَ مِنَ الحسنات ما تكون تلكَ السَّيِّئَةُ به سببَ رحمتِهِ حتى يقولَ عدُوُّ الله : ياليَتني تركتُهُ ولَمْ أُوقِعْهُ وهذا معنى قول بعض السلفِ : إنّ العبدَ لَيَعْمَلُ الذنبَ يَدْخُلُ بِهِ الجنةَ ، ويَعمل الحسنةَ يدخلُ بها النارَ ، قالوا : كيفَ ؟ قال : يعملُ الذنبَ فلا يزالُ نُصْبَ عينيهِ خائفًا منهُ مُشْفِقًا وَجلاً باكيًا نادِمًا مُسْتَحْيًا مِنْ رَبِّهِ تعالى ناكِسَ الرأسِ بَيْنَ يديَهِ مُنْكسرَ القَلْبِ له فيكونُ ذلك الذنبُ أنفعَ له مِنْ طاعات كثيرةٍ بما ترتَّبَ عليه مِنْ هذه الأمورِ التي بها سعادةُ العبدِ وفلاحُهُ حتى يكونَ ذلك الذنبُ سبَبَ دخول الجنةِ .

ويَفْعلُ الحَسَنةَ فلا يَزَالُ يَمُنُّ بها على ربِّهِ ويَتَكَبَّرُ بها وَيرَى نَفْسَهُ شيئًا ويُعجَبُ بها وَيَسْتَطيلُ بها ويقولُ بها ويقولُ : فَعَلْتُ وفَعَلْتُ ، فيُورِثُهُ مِنَ العجبِ والكِبْرِ والفخْرِ والاسْتِطالَةِ ما يكونُ سبَبَ هلاكِهِ .

يا نَاظِرًا

يـــا نَـــاظِرًا يَرْنـــوا بِعَيْنِـــيَ راقِـــدِ ... ومُـــشَاهِدِ لِلأَمْـــرِ غَيْـــرَ مُـــشَاهِدِ
تَصِلُ الذُّنُوبَ إلى الذُّنُوبِ وتَرتَجِـــي ... فَوْزَ الجِنَـــانِ ونَيْـــلَ أَجْـــرِ العَابِـــدِ
ونَـــسِيتَ أنَّ اللهَ أَخْـــرجَ آدَمًـــا ... مِنْهَـــا إِلـــىَ الـــدُنْيَا بِـــذَنْبٍ واحِـــدِ

سَلِ الأَيَّامَ مَا فَعَلَتْ بِكِسْرى

سَلِ الأَيَّامَ مَـــا فَعَلَـــتْ بِكِـــسْرى ... وقَيْـــصَرَ والقُـــصُورَ وَسَـــاكِنِيْهَا
أمَـــا اسْـــتَدَعَتْهُم لِلْمُـــوتِ طُـــرًا ... فَلَمْ تَـــدَعِ الحَلِـــيمَ ولا الـــسَّفيهَا
دَنَتْ نَحو الـــدَّنِي بِـــسَهْمِ خطْـــبٍ ... فأصْـــمَتْهُ ولَـــمْ تـــدَعِ الوَجِيهَـــا
أَما لَـــوْ بِيعَـــتِ الـــدُّنْيَا بِفِلْـــسٍ ... أنِفْـــتُ لِعَاقِـــلٍ أَنْ يَـــشْتَرِيهَا

لا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخرة بِغَيرِ عَمَلٍ

رُوِيَ عَنْ عَلَيَّ بن أبي طَالب أنّه قَالَ : لا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخرةَ بَغْيرِ عَمَلٍ ويؤخرُّ التَّوْبَةَ لِطُولِ الأَملِ وَيقَولُ في الدُّنيَا بقوْلِ الزَّاهدِينَ ، ويعَملُ فيها عَمَلَ الرَّاغبينَ ، إنْ أُعْطِيَ مِنَ الدُّنيا لَمْ يَشْبَعْ ، وإن مُنْعَ منها لَمْ يَقْنَعْ ، وَيَأْمُرُ النَّاسَ بمَا لا يَأْتِيهِ ، يُحِبُّ الصَّالِحينَ وَلا يَعْملُ أعمالَهم ، وَيَبْغَضُ الْمُسيئينَ وَهُوَ مِنْهُمْ ، يَكرهُ الْموْتَ لِكَثرةِ ذُنوبه ، ويُقيمُ على ما يَكرهُ لَهُ الْمَوْتَ ، إنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادمًا ، وإنْ صَحّ أمِنَ لاهِيًا ، يَعجبُ مِن نفسه إذَا عُوفيَ ، ويَقنَطُ إذَا تغلبهُ نفْسُهُ على ما يَظُنُّ ولا يَغلِبُهَا على ما يَسْتَقِينُ ، ولا يَثقُ مِن الرِّزق بما ضُمِنَ لهُ ، ولا يَعْملُ مِن العَمَلِ بمَا فُرِضَ عَلَيْهِ إنْ استغَنى بَطِرَوان افتقرِ قَنطَ وحَزِنَ فهو منَ الذّنبِ في حَال النَّعمة والمِحْنة مُوقِرٌ ، يَطلبُ الزيادة ولا يشكرُ ، ويتكلّفُ مِن الناس مالاً يُؤمرُ ، ويضيّعُ الموتَ ولا يُبادرُ الفَوْتَ ، يَستكبرُ مِن مَعصيةِ غيرِهِ ما يَسهُلُ أكثرُه مِن نفسه . مَراهرُ اللهّو مع الأغْنياءِ أحبُّ إليهِ مِن الذّكرِ مع الفُقراءِ ، يَحكمُ على غيرِهِ لِنفسهِ ولا يَحكمُ عليها لِغَيرِهِ .

الموتُ في كُلِّ حِينِ يَنْشُرُ الْكَفَنَا

الموتُ في كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الْكَفَنَـــا ... ونَحْنُ في غَفْلَةٍ عما يُـــرَادُ بِنَـــا

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

لا تَطْمَئِنَّ إلى الـــدُّنْيَا وَبَهْجتـــها ... وإنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الحَسَنَا
أَيْنَ الأَحِبَّةُ والجِيرانُ مـــا فَعلُـــوا ... أينَ الذين هُمُ كانُوا لَنَـــا سَـــكَنَا
سَقَاهُم الموتُ كأسًا غَيْرَ صَـــافِيَةً ... فَصَيَّرَتْهُمْ لأَطْبَاقِ الثَّـــرَى رُهُنَـــا
تَبْكِي المَنَازِلُ مِنْهُمْ كُلَّ مُنْـــسَجِمٍ ... بالمَكْرُمَاتِ وتَرْثِي البِـــرَّ والمِنَنَـــا
حَسْبُ الحِمَام لَو أَبْقاهُمْ وأَمْهَلَهُمْ ... أَلا يَظُنَّ عَلَـــى مَعْلُومِـــهِ حـــسَنَا

في ذَمِّ الدُّنْيَا

كَتَبَ الحَسَنُ إلى عُمَر بن عبدِ العزيز في ذَمِّ الدُّنْيَا كِتابًا طَويلاً قال فيه : أمَّا بعدُ فَإنّ الدُّنيا دَارُ ظَعَنٍ لَيْسَتْ بدارِ مُقَامٍ وإنّما أُنزلَ إليهَا آدمُ عُقوبةً فاحْذرْهَا يا أَميرَ المؤمنين فإنَّ الزّادَ منهَا تَركُها والغِنَى فيها فَقرُهَا تُذلّ من أَعزّها وَتُفقرُ منْ جمعها كالسُّمِ يأكلهُ مَن لا يَعْرِفُهُ وَهُوَ حَتْفُه فاحْذرْ هَذِهِ الدّارَ الغرّارةَ الخَتّالةَ الخدّاعةَ وكُن أَسَرَّ ما تَكونُ فِيهَا أحذَرْ ما تكونُ لَها ، سُرورُهَا مشُوبٌ بالحُزنِ وَصفوها مشُوبٌ بالكَدِرِ فلوْ كان الخَالقُ لم يُخْبره عنْها خبرًا وَلَم يَضْربْ لَهَا مَثَلاً لَكُنْتُ قَدْ أَيقظْتُ النَّائِمَ ونبَّهتُ الغَافلَ فَكيفَ وَقدْ جَاء مِن اللهِ عزّ وجلّ عنها زَاجرٌ وَفِيهَا واعِظٌ فما لَهَا عِنْدَ اللهِ سبحانه قَدْرٌ ولا وَزْنٌ ، ما نَظَرَ إليها مُنذُ خَلقَها وَلَقَدْ عُرِضَتْ على نبيّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَفاتِيحُهَا وَخَزَائنُهَا لا يَنقصُ عند اللهِ جَناحَ بَعوضةٍ فأَبى أنْ يَقبَلَهَا وَكَرِهَ أن يُحبَّ ما أبغَضَهُ خَالقهُ أو يَرفَعَ ما وَضَعه مليكُه ، زَواها اللهُ عن الصّالحين اختيارًا ، وَبَسَطَهَا لأعْدَائِه اغْتِرَارًا أَفَيَظُنُّ المغْرورُ بها أنّه أُكْرِمَ بِهَا وَنَسِيَ ما صَنَعَ اللهُ بمحمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينَ شدَّ على بَطْنِهِ الحَجَرَ ، واللهِ ما أحدٌ مِنَ النَّاسِ بُسِطَ لَهُ في الدُّنيا فَلمْ يَخَفْ أَنْ يَكُونَ مَكْرًا إلا كان قَدْ نقَص عقْلُه وَعَجَزَ رَأيهُ وما أَمْسَكَ عن عَبدٍ فلم يَظُنّهُ خيرًا لهُ فيهَا إلا نَقَصَ عقْلُهُ وَعَجَزَ رأيهُ .

عَلَيْكَ بِمَنْعِ نَفْسِكْ عَنْ هَوَاهَا

عَلَيْكَ بِمَنْعِ نَفْسِكْ عَـــنْ هَوَاهَـــا ... فَمَا شَـــيْءٌ أَلَـــذَّ مِـــنَ الـــصَّلاحَ
تَأَهَّـــبْ لِلْمَنِيَّـــةِ حَـــيْنَ تَغْـــدُو ... كَأَنَّـــكَ لا تَعِـــيشُ إلى الـــرَّوَاحَ
فَكَمْ مِـــنْ رَائِـــحٍ فِينَـــا صَـــحِيحٍ ... نَعَتْـــهُ نُعَاتُـــهُ قَبْـــلَ الـــصَّبَاحَ
وَبَـــادِرْ بالإِنَابَـــةِ قَبْـــلَ مَـــوْتٍ ... عَلَى مَا فِيكَ مِنْ عِظَـــمِ الْجُنَـــاحَ
وَلَيْسَ أَخُو الرَّزَانَةِ مَـــنْ تَجَـــافَى ... وَلَكِـــنْ مَـــنْ تَـــشَمَّرَ لِلْفَـــلاحَ